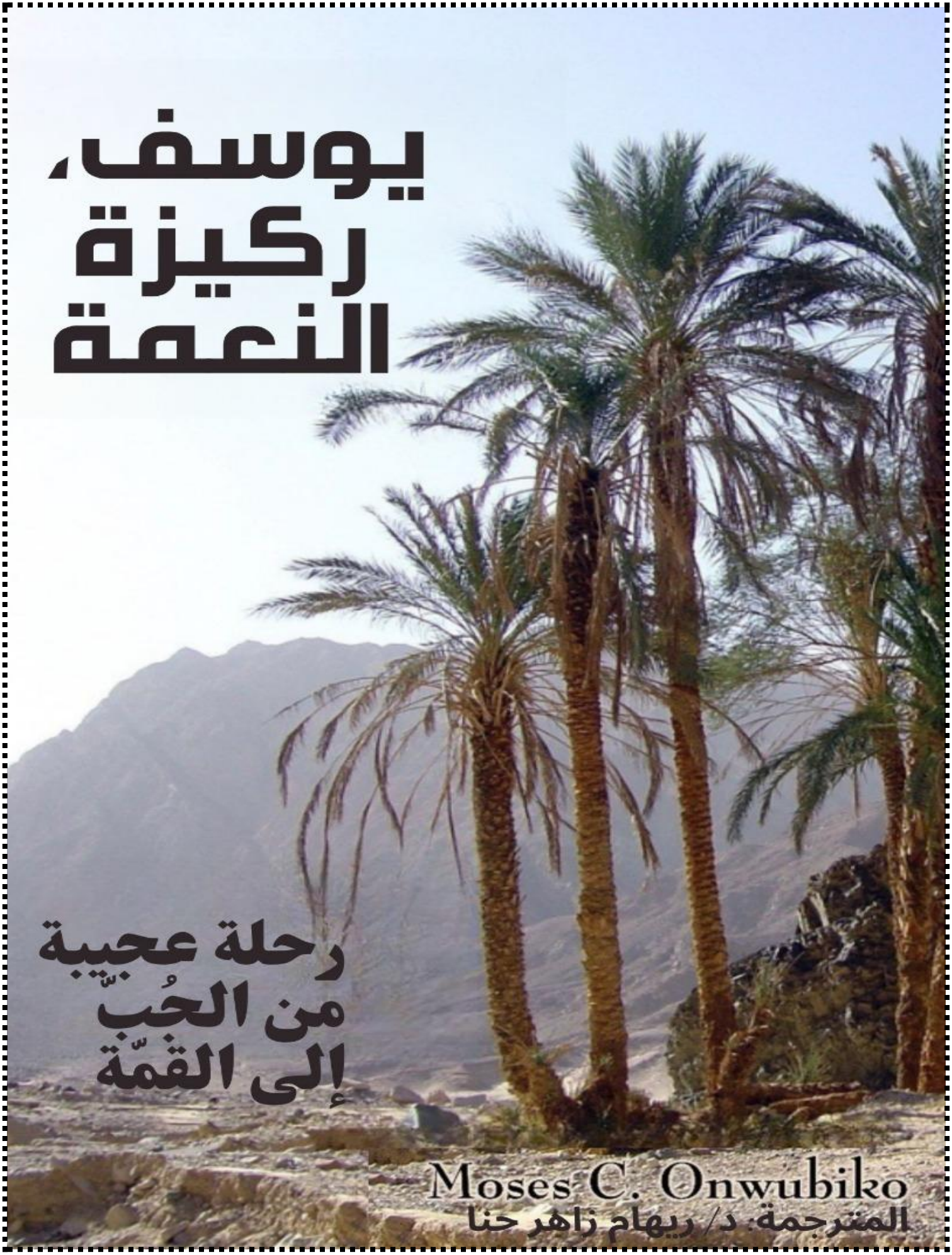
يوسف،
ركيزة
النعمة
رحلة عجيبة
من الحُبّ
إلى القمّة
Moses C. Onwubiko
المترجمة: د/ ريهام زاهر حنا

يوسف،

ركيزة النعمة
رحلة عجيبة من الجُبّ إلى القمّة

تأليف: موسيس سي. أونويبيكو

ملاحظة:

هذا الكتاب هو الثالث في سلسلة تتضمّن:

"نظرة شاملة على نعمة الله"

و

"بولس، جائزة النعمة"

نوصي بقراءة هذه السلسلة كاملةً لزيادة المعرفة بربّنا، والنموّ في نعمته.

خدمة النعمة الإنجيلية

ناشفيل، تينيسي – الولايات المتحدة الأمريكية.

«اِشْتَرِ الحَقَّ وَلا تَبِعْهُ»
(أمثال ٢٣:٢٣)

حقًّا، إنَّ الحَقَّ (أي التعليم الكتابي السليم) عزيزٌ ونادرُ الوجود. لذلك، حينما يقودك الله في نعمته اللامحدودة إلى معرفة الحَقّ، عليك أن تحتضنه وتُقدِّره. تمسَّك به بقوّة وثبات، لأنَّ فيه تكمن القدرة على التمتّع بالحياة، والسعادة، والبركات، في الزمن الحاضر وفي الأبدية الآتية.

خدمة النعمة الإنجيلية
ص.ب ١١١٩٩٩
ناشفيل، تينيسي ٣٧٢٢٢
www.GEMworldwide.org

٢٠٠٧, ٢٠٠٥ نُقِّحت عام ٢٠١١ – تأليف موسى سي. أونويبيكو. جميع الحقوق محفوظة.
لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا المنشور أو نقله بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة كانت، سواء إلكترونية أو ميكنية، بما في ذلك التصوير الضوئي أو التسجيل أو أنظمة تخزين واسترجاع المعلومات، إلا بإذنٍ خطيٍّ من الناشر.

نُقلت الاقتباسات الكتابية (ما لم يُذكر خلاف ذلك) من **الكتاب المقدس الأمريكي القياسي**

الأعوام ١٩٦٠، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٨، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ١٩٩٥ .
(www.Lockman.org)بإذن من **مؤسسة لوكمان**
الكلمات والعبارات الموضوعة بين أقواس مربعة هي إضافات توضيحية من المؤلف وليست جزءًا من النص الأصلي.

فقد نُقلت من **الكتاب المقدس – الترجمة الدولية الجديدة NIV**أما الآيات المشار إليها بـ
جمعية الكتاب المقدس الدولية – حقوق الطبع © ١٩٧٣، ١٩٧٨، ١٩٨٤.
جميع الحقوق محفوظة .استخدامها بإذن من **دار زندرفان.**

NET Bible الآيات المبيّنة بأنها من **الكتاب المقدس**

فهي من حقوق الطبع والنشر © ١٩٩٦–٢٠٠٦ـ **دار النشر للدراسات الكتابية** .

(Biblical Studies Press, L.L.C.)

طُبع في الولايات المتحدة الأمريكية.

المحتويات

الاهداء..... v
الدعوة المفتوحة vi
الى المؤمن بالمسيح vii
المقدمة viii
الفصل الأول: يوسف، بداية الرحلة ١
النعمة ٢
الحلم الأول ليوسف ٤
الحلم الثاني ليوسف ٥
عقيدة الأحلام ٦
تعبير الأحلام في العهد القديم ٧
الفصل الثاني: جوهر الله..... ٩
علمه المطلق ٩
سيادته ١٠
صدقه وأمانته ١١
حضوره الكلي ١٢
قدرته الكلية ١٤
الفصل الثالث: نعمة الاتون وسط المعاناة..... ١٥
الألم مع الاضطراب أو مع السلام ٢٠
أنواع الألم ٢٢
الألم الناتج عن الذات ٢٢
التأديب الإلهي ٢٤
ألم نموّ النضوج الروحي ٢٤
ألم اتفاق الجيل الثالث والشيطان ٢٦
ألم "الشوكة في الجسد" ٢٦
ألم الرسول بولس ٢٨

أي نوع من الألم تعاني؟ ٢٩
نظام الأمان الإلهي ٣٠

الفصل الرابع: يوسف في الجُبّ..... ٣٣
البناء الفوقي ليوسف المرتكز على النعمة ٣٤
المؤامرة لقتل يوسف ٣٥
يوسف وإلهه الأمين ٣٧
رحلة يوسف القاسية كعبد ٣٩
يوسف، عبد عند فوطيفار ٤٢

الفصل الخامس: أمانة الله لأولاده..... ٤٧
الجدول الزمني الإلهي ٤٨
الجلوس في مطعم الله بأسلوب الملوك ٤٩
الترقية الأولى ليوسف ٥١
التمركز حول النعمة ٥٢

الفصل السادس: تجربة يوسف واختباره ٥٥

الفصل السابع: يوسف في بوتقة النعمة والألم ٥٩
يوسف في السجن ٦١

الفصل الثامن: العناية الإلهية ٦٥
العناية الإلهية في العمل ٦٦
اتجاه يوسف نحو التواضع ٦٧
الإخفاق الروحي ٦٩
سقوط يوسف ٧١
كلمة الله: مرسى أمانته ٧٣
قوس القزح: تذكار لأمانة الله لكلمته ٧٤
وجود إسرائيل: دليل على أمانة الله لكلمته ٧٥
اضطراب إسرائيل: تذكير بأمانة الله لكلمته ٧٦
آلام المرأة عند المخاض: تذكير بأن كلمة الله ثابتة في السماء ٧٦
الولادة العذراوية ليسوع المسيح: برهان على أمانة الله لكلمته ٧٧
يوسف يُتذكَّر ٧٨

الفصل التاسع: يوسف في القمّة ٨٣
التطبيق الدقيق للمعرفة ٨٤
بركات الألم ٨٦
ميلاد منسّى وأفرايم: بركة نعمة إضافية ٨٨
المجاعة العالمية في أيام يوسف ٨٩
الفصل العاشر: يوسف، ركيزة النعمة ٩١
اتجاه يوسف نحو النعمة ٩١
استجابة يوسف بالنعمة لردّة فعل الشعور بالذنب ٩٣
خروج يوسف الاحتفالي إلى المجد ٩٥
الفصل الحادي عشر: أفكار ختامية ٩٧

شكر وتقدير

أود أن أستهل هذه الصفحات بالتعبير عن أعمق مشاعر الامتنان لأعضاء مجلس إدارة خدمة النعمة الإنجيلية، ولجميع الزملاء والكنائس الشريكة معنا في خدمة الله. إن دعمكم المادي وصلواتكم المثابرة يثمران حقًا لمجد إلهنا القدير. إن التزامكم وتفانيكم في عمل الرب يفوقان كل تقدير بشري.

وامتنان لا ينتهي أتوجه به إلى العقيد آر. بي. ثيم الابن، على أمانته في إيصال عقيدة الكتاب المقدس الصحيحة. فالعقيد ثيم كاتب غزير الإنتاج، يمتلك معرفة عميقة بلغات الوحي الأصلية: العبرية واليونانية والآرامية. ومن أجل مثابرته في خدمة مخلّصنا وكلمته، أقدّم له شكري القلبي العميق.

كما أعرب عن امتناني العميق للتعليم المنهجي الدقيق الذي قدّمه الراحل الدكتور لويس سبيري تشيفر، رئيس ومؤسس الكلية اللاهوتية في دالاس، تقديرًا لعمله في كشف حقائق عصر الكنيسة.

وأخيرًا، تتوّج امتناني تحية إجلال ووقار لصديقي الأعظم، ملك الملوك ورب الأرباب، كوكب الصبح المنير، ربي ومخلّصي الأبدي يسوع المسيح. فذبيحته الكفارية الفعّالة على الصليب منذ ألفي عام جعلت من الممكن أن أشارك اليوم بكلمة الله في هذا الكتاب.

دعوة مفتوحة

إن المعلومات الواردة في هذا الكتاب لن تعود عليك بالفائدة ما لم تولد ثانية، أي ولادة روحية. والخبر السار هو أنك تستطيع أن تولد من جديد وتنضم إلى عائلة الله في هذه اللحظة بالذات.

عندما كان ربنا يسوع المسيح معلقًا على الصليب، كان يفكر فيك شخصيًا. لم تُرتكب خطيئة، مهما كانت فظاعتها، إلا وقد صُبَّت على يسوع المسيح على الصليب ودينت هناك (رسالة بطرس الأولى ٢:٢٤). فبصفته الإله الإنسان، احتمل يسوع المسيح كل الآلام والإهانات والعذابات لكي يهبك الحياة الأبدية. والسؤال الآن هو: هل تؤمن أن موته كان كافيًا لخلاصك؟

كل إنسان، مهما كان صالحًا، قد أخطأ وقصر عن بلوغ برّ الله الكامل؛ لذلك يدين الله الجميع بعدله (رومية ٣:٢٣). فالصالحون والأشرار على السواء يحتاجون إلى مخلّص. ومهما كان ماضيك صالحًا أو مليئًا بالخطايا، ومهما كانت إخفاقاتك كبيرة، يمكنك أن تبدأ حياة جديدة كعضو في عائلة الله من هذه اللحظة. كيف؟ ببساطة، بأن تخبر الله الآب في سرك أنك تؤمن بابنه يسوع المسيح كمخلّصك الشخصي. وفي اللحظة عينها التي تضع فيها ثقتك في الرب يسوع المسيح، تصبح تلقائيًا عضوًا في عائلة الله.

قال يسوع المسيح نفسه:
"إن لم تؤمنوا أني أنا هو، تموتون في خطاياكم." (يوحنا ٨:٢٤)

القضية إذن هي الإيمان وحده بالمسيح وحده.

"لأنكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد." (أفسس ٢:٨-٩)

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية." (يوحنا ٣:١٦)هل تؤمن به الآن؟ إن الإيمان وحده بالمسيح وحده هو الطريق الوحيد إلى الحياة الأبدية. يمكنك أن تتوقف لحظة الآن وتؤمن بالرب يسوع المسيح. وإن كنت قد آمنت به كمخلّصك الشخصي، فأنت مستعد لأن تجني ثمار هذا الكتاب.

إلى المؤمن بالمسيح

لأنك أصبحت عضوًا في عائلة الله بالإيمان وحده بالمسيح وحده، صار لك وصول مباشر إلى أبيك السماوي. لذلك فإن خطاياك أصبحت شأنًا عائليًا بينك وبين الله. وحتى تفهم وتستفيد من قراءة هذا الكتاب، يجب أن يكون الروح القدس هو المتحكم في نفسك؛ غير أن الروح القدس لا يمكنه أن يضبط حياتك إذا كانت فيها خطايا غير معترف بها.

"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم." (رسالة يوحنا الأولى ١:٩)

في الاعتراف، أي حينما تُقر بخطاياك مباشرة لله الآب دون وساطة أحد، فإنك تتفق مع الله بأن فكرتك السلبية أو كلمتك أو فعلك كان خطية. لقد حكم الله عليها بالفعل بأنها خطية، وينتظر منك أن تعترف له بأنها كذلك. فقط من خلال الاعتراف بالخطايا المعروفة لله الآب يُستعاد إليك وضع العلاقة السليمة معه. وكما هو الحال في الخلاص، فإن النعمة وحدها، لا الأعمال، هي التي تعيدك إلى شركة مع الله.

وعندما لا تكون في حياتك خطايا غير معترف بها، لا يعود الروح القدس مطفأً أو محزونًا، فتُستعاد شركتك مع الله ويصبح الروح القدس هو الذي يقودك من جديد. هذه هي الروحانية الحقيقية.

والآن، في خصوصية نفسك، يجدر بك أن تتوقف لحظة لتقرّ أمام الله الآب بأي خطية لم تعترف بها بعد، حتى يجعل الروح القدس الحقائق الواردة في هذا الكتاب واضحة وفعّالة في حياتك.

مقدمة

نحن على وشك أن ننطلق في رحلة تأملية تسير بنا عبر حياة يوسف وإرثه الروحي. وخلال هذه الرحلة سنتوقف أيضًا عند حياة أبطال آخرين من العهد القديم. كان يوسف واحدًا من المؤمنين الغالبين، رجل نعمة، عمودًا من أعمدة النعمة، ومثالًا يبيّن لنا ما إذا كنا نمجد الله في حياتنا أم لا. لكن قبل أن نبدأ هذه الرحلة، لا بد أن نطرح على أنفسنا بعض الأسئلة الجوهرية.

لماذا لدينا اليوم قانون الكتاب المقدس الكامل؟

يجيب الرسول بولس في العهد الجديد عن هذا السؤال بقوله:

"وهذه الأمور جميعها حدثت مثالًا، وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور" (كورنثوس الأولى ١٠:١١).

من دون هذه الإرشادات الإلهية، يتخبط الإنسان في ظلمة الجهل. فالكتاب المقدس هو موسوعتنا الإلهية، ومخزن الحلول الروحية لكل مشكلة أو حاجة بشرية. إنه فكر المسيح ذاته، ويحتوي على وفرة من الإعلان الإلهي عن الثالوث وعن خطة الله عبر الزمن والأبدية. وقد وصف المرنم الكلمة الإلهية بقوله:

"سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (مزمور ١٠٥:١١٩).

لقد أوحى الله بكلمته إلى عقول كتبة الوحي البشريين، وبواسطة روحه القدوس مكّنهم من أن يعبّروا بدقة عمّا أوحى به، كتابةً، بلغات الكتاب الأصلية. وبعنايته الإلهية، حفظ الله كلمته إلى يومنا هذا.

وبحق، فإن الله في نعمته العجيبة قد أتاح لنا في الكتاب المقدس سجلًا لحياة المؤمنين الخاسرين والغالبين على السواء، حتى نتجنب تكرار أخطاء الخاسرين، ونطبق المبادئ الإلهية التي تبناها الغالبون، فنصير نحن أيضًا من الغالبين. وقد قدّم الإصحاح الحادي عشر من رسالة العبرانيين قائمة بأبطال الإيمان وسجّل شهادات الإيمان المنسوبة إليهم:

بالإيمان نُقل أخنوخ [وهو إنسان مثلنا] لكي لا يرى الموت...

بالإيمان نوح... صار وارثًا للبر الذي حسب الإيمان.

بالإيمان إبراهيم، لما دُعي، أطاع... فخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب.

بالإيمان سارة نفسها نالت قدرة على الحبل، مع أنها جاوزت سن الحياة.
بالإيمان موسى، لما كبر، أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون... مفضّلًا عار المسيح على كنوز مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة.
بالإيمان إبراهيم، لما امتحنه الله، قدّم إسحاق ذبيحة... إذ حسب أن الله قادر أن يقيم من الأموات.
بالإيمان يوسف، عند موته، ذكر خروج بني إسرائيل، وأوصى من جهة عظامه (عبرانيين ١١: ٥، ٧-٨، ١١، ٢٥-٢٦، ١٧-٢٩، ٢٢).

إن قائمة المؤمنين الغالبين في العهد القديم طويلة بلا نهاية! ويذكر يعقوب الرسول مثالًا آخر لمؤمن غالب بقوله:

كان إيليا إنسانًا تحت الآلام مثلنا، وصلى صلاة حارة أن لا تمطر، فلم تمطر على الأرض » ثلاث سنين وستة أشهر. ثم صلى أيضًا، فأعطت السماء مطرًا، وأخرجت الأرض ثمرها» (يعقوب ١٧:٥-١٨).

تحدٍّ لنا

"لذلك نحن أيضًا، إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" (عبرانيين ١٢:١).

أحيانًا نتساءل عن التأثير الذي كان يمكن أن يحدثه أولئك الرجال العظام من العهد القديم لو كانوا أحياء اليوم في عصر الكنيسة. غير أننا نعلم أنه لم يمنح الله في أي زمن سابق وفرة من البركات الروحية كما منحها في هذا العصر الحديث، وللمرة الأولى في تاريخ البشرية، اختار الله الآب والابن والروح القدس أن يسكنوا في أجساد المؤمنين المولودين ثانية.
نعم، هذا صحيح إن الخالق نفسه يسكن في خليقته التي وُلدت من جديد. وإضافة إلى ذلك، نملك القوة المُمكّنة من الروح القدس حين لا تكون في نفوسنا خطايا غير معترف بها.

وليس هذا فحسب، بل لدينا أيضًا السجل الكامل لكلمة الله بلغاتها الأصلية، العبرية واليونانية والآرامية. ولدينا رعاة مدربون لاهوتيًا تدريبًا منهجيًا، خبراء في شرح كلمة الله وتفصيل معانيها. ولدينا كنائس محلية، ومصادر متعددة لتعليم الكتاب المقدس عبر الأقراص المدمجة والوسائط الرقمية، وحتى عبر الإنترنت.

ولا تنتهي قائمة البركات هنا! فقد باركنا الله بكل أنواع الوسائل والأجهزة التي تتيح لنا سماع كلمته وتأملها. اختر منها ما تشاء! حتى سياراتنا اليوم مزوّدة بأجهزة تشغيل لنتمكن من الإصغاء إلى التعليم أثناء القيادة. وهناك من نزّل دروس الكتاب المقدس على أجهزته المحمولة ليستمع إليها أثناء السير أو الجري. إن قائمة موارد النعمة التي منحها الله لنا لا تنتهي.

وبسبب عِظَم البركات التي نلناها في عصر الكنيسة، يجب أن ننقش كلمات ربنا على قوائم أبواب نفوسنا:
"ومن أُعطي كثيرًا يُطلب منه كثير، ومن أودعوه كثيرًا يطالبونه بأكثر" (لوقا ١٢:٤٨).

لقد ائتمننا الله على الكثير، ولذلك ينتظر منا الكثير. أما رجال الإيمان في العصور الماضية، فمع أنهم لم ينالوا سوى القليل، إلا أنهم مجّدوا الرب كما لو كانت لديهم وفرة عظيمة. أما نحن فقد أُعطينا الكل! و"من أُعطي كثيرًا"، فلا شك أن منه يُطلب كثير. لن نستطيع أبدًا أن نستنفد نعمة الله، كما سنرى بوضوح في دراستنا لحياة يوسف.

الفصل الأول

يوسف، هنا تبدأ الرحلة

كان يوسف الابن المفضل لدى أبيه، ربما لأنه كان البكر من راحيل، الزوجة التي أحبها يعقوب حبًا شديدًا، ولأنه أيضًا ابن شيخوخته، إذ كان يعقوب في التسعين من عمره حين وُلد يوسف (تكوين ٣٧:٣). كان ليعقوب اثنا عشر ابنًا صاروا أسباط إسرائيل الاثني عشر، وكان يوسف أصل السبطين الشماليين، منسى وأفرايم. وقد أظهر يعقوب محبته الخاصة ليوسف بأن أعطاه ثوبًا ملونًا جميلًا. لا شك أن هذا الثوب جعله متميزًا بين إخوته، وقد أثار هذا التميّز حسد إخوته الأكبر منه.

"وأمّا إسرائيل فأحبّ يوسف أكثر من سائر بنيه، لأنه ابن شيخوخته، فصنع له قميصًا ملوّنًا. فلما رأى إخوته أن أباهم يحبّه أكثر من جميع إخوته أبغضوه، ولم يستطيعوا أن يكلّموه بسلام" (تكوين ٣٧:٣-٤).

يا لها من جماعة مملوءة سمًّا! سنرى أن إخوته خلطوا الحسد بالغيرة والشرّ معًا في مزيج واحد من الكراهية انفجر في غضب حارق ضد يوسف، أخيهم الأصغر. ويبدو أنهم جميعًا كانوا مؤمنين بالرب، لكنهم مؤمنون خاسرون – باستثناء يوسف!

نعلم أن يوسف كان مؤمنًا بالرب يسوع المسيح من خلال الطريقة التي أعلن بها الله ذاته له، وهو امتياز لا يُمنح إلا للمؤمنين. ففي العهد القديم أعلن الله ذاته بطرق متنوعة، لكن الخلاص في كل جيل واحد لا يتغير. فالكتاب المقدس مليء بالأدلة على الذين نالوا الخلاص بالإيمان وحده بالمسيح وحده.

لقد نال آدم وحواء الخلاص من خلال إيمانهما بالرب، وكذلك إبراهيم، جد يوسف الأكبر، خلُص بالطريقة نفسها:
"فآمن بالرب فحسبه له برًا" (تكوين ١٥:٦).

وبالإيمان نفسه، "... صار نوح وارثًا للبر الذي حسب الإيمان" (عبرانيين ١١:٧). ويخبرنا سفر العبرانيين أن الله "كلم الآباء قديمًا بالأنبياء في أزمنة كثيرة وبطرق كثيرة" (عبرانيين ١:١). الكلمة اليونانية *بولوميروس* وتعني "بأجزاء كثيرة" أو "بطرق متعددة"، وتشير إلى الوسائل المختلفة التي استخدمها الله لإعلان ذاته، مثل الأحلام، والرؤى، والنجوم والملائكة.

لقد علّم إبراهيم ابنه إسحاق المبادئ الإلهية، ونقل إسحاق بدوره العصا الروحية إلى ابنه يعقوب، الذي نقلها بدوره إلى أولاده، وكان يوسف أحدهم. وقد علّم إسحاق يعقوب هذا المبدأ الكتابي:
"ربِّ الولد في طريقه، فمتى شاخ أيضًا لا يحيد عنه" (أمثال ٢٢:٦).

إن الله، العادل في كل طرقه، زوّد يوسف بما يكفي من المعرفة الإلهية لينمو روحيًا. وكان يوسف إيجابيًا تجاه كلمة الله التي علّمه إياها أبوه يوميًا، فاعتبر فهم كلمة الله وتطبيقها أسمى أولويات حياته. ولهذا انتقل بسرعة من مرحلة الطفولة الروحية إلى المراهقة ثم إلى النضج الروحي الكامل. تذكّر أن يوسف لم يكن لديه قانون الكتاب المقدس الكامل، ولا حتى أول أسفار موسى، ولم يكن له راعٍ مدرّب، بل كان أبوه وحده هو معلمه في الحق الإلهي. إن نجاح يوسف في حياته الروحية يعكس المبدأ الكتابي الوارد في سفر يشوع:
"لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج فيه نهارًا وليلًا، لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه، لأنك حينئذ تصلح طريقك، وحينئذ تفلح" (يشوع ١:٨).

لقد غيّرت الحقيقة الإلهية المزروعة في نفس يوسف نظرته البشرية إلى نظرة إلهية، وأعدّته لمواجهة ما ينتظره من تجارب بانتصار، بواسطة النعمة.

النعمة

النعمة هي إحسان يُمنح دون انتظار مقابل، وهي تعبير عن محبة الله ورحمته نحو الإنسان، نابعة فقط من سخاء المُعطي وطيب قلبه. النعمة هي بركة غير مستحقّة من الله ونعمته هي إحسانه غير المستحق تجاهنا. والاختبار الحقيقي لفهمك للنعمة هو عندما تصل بصدق إلى القناعة بأن كل ما يحدث لك في هذه الحياة، دون استثناء، يمر تمامًا عبر قناة نعمة الله. أعني **كل شيء!**
فالنعمة تشمل، ولكنها لا تقتصر على، ميلادك الجسدي والروحي، وسكنى الثالوث الدائمة فيك، والمواهب الروحية، والأمان الأبدي، والتأديب الإلهي، والمعاناة المصمّمة خصيصًا للبركة حتى ضعف الصحة الجسدية! فليس صدفة ولا حظًا أننا وُلدنا في هذا العصر الفريد الممتلئ بأدوات النعمة الغزيرة. لقد وهبنا الله هذه البركات الخاصة عن قصد إلهي.

قد تتساءل: "وما علاقة ضعف الصحة بالنعمة؟"
التي يجمعها الله معًا ويحوّلها إلى خير جوهري "كل الأشياء" ضعف الصحة يدخل ضمن فئة (رومية ٨:٢٨). كان أيوب مثالًا رائعًا على هذا المبدأ. تأمل فيه:

"وردّ الرب سبي أيوب... وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفًا... وبارك الرب آخِرَةَ أيوب أكثر من أولاه... وبعد هذا عاش أيوب مئةً وأربعين سنة، ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال. ومات أيوب شيخًا وشبعانَ الأيام» (أيوب ٤٢:١٠، ١٢، ١٦-١٧).

لقد خسر أيوب كل شيء، بما في ذلك صحته، قبل أن يستعيد كل ما فقده مضاعفًا، ومعه إكليل المجد على رأسه ونجوم أبدية على كتفيه! ولولا نعمة الله التي سمحت له بتلك المعاناة، لما تمتع بفيض البركة في حياته الزمنية، فضلًا عن الأبدية.

قد تتساءل: "ولِمَ ينبغي أن نتألم قبل أن يفيض الله علينا ببركاته؟" الجواب في كلمة واحدة: **السعة.** فالسعة الروحية للتمتع بالحياة وبالبركات تشبه الذهب الذي لا يصير نقيًا إلا إذا صُفّي في أتون النار.

"هأنذا قد صفّيتك... لا كفضة، اخترتك في كور المذلة" (إشعياء ٤٨:١٠).

وقال يعقوب إننا لا ينبغي أن نتذمّر عندما تواجهنا الضيقات أو الإحباطات، بل علينا أن يكون اتجاهنا هو:

"اعتبروه كل فرحٍ يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة... لتكن لكم الصبر الكامل، لكي تكونوا كاملين [أيَ ذوي سعة روحية قادرة على التمتع بكل أمور الحياة]" (يعقوب ٢:١-٤).

فإن كانت الحقيقة الإلهية ساكنة في نفسك حينما تصيبك علّة شديدة أو أي نوع من الضيق، فإن معاناتك ستجلب المجد لله إذا اخترت أن تستخدم موارد النعمة التي وهبك إياها.

كان يوسف، كموضوع لنعمة الله، ليس استثناءً من هذا المبدأ. لقد فتح الله عينيه في حلمٍ وأراه سجلّ البركة والترقية المستقبلية التي كانت تنتظره. لم يكن يوسف قد فعل شيئًا لله، نعم، **لا شيء على الاطلاق** ومع ذلك أمطره الله بفيضٍ من النعمة. إن حقيقة أن يوسف لم يكسب ولم يستحق ترقيته المستقبلية ستكون الأساس الذي تُبنى عليه بقية تعاليم النعمة في حياته.

حلم يوسف الأول

فقال لهم يوسف، أي لإخوته ووالديه: "اسمعوا هذا الحلم الذي حلمته. فها نحن نحزم حزمًا في الحقل، وإذا حزمتي قد قامت أيضًا ووقفت، وإذا حزمكم استدارت وسجدت لحزمتي". فقال له إخوته: "ألعلك تملك علينا ملكًا؟ أم تتسلط علينا تسلطًا؟" فازدادوا أيضًا بغضًا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه (تكوين ٣٧:٦-٨).

يتضمّن وصف حلم يوسف كلمتين أساسيتين تستحقان التأمل: الأولى تُترجم عادة إلى "وقفت منتصبة"، لكنها تحمل أيضًا معنى "تُزرع" أو "تُؤسس" أو "تُقام في موضع سلطان". لذلك يمكننا ترجمة الآية بشكل أدق على هذا النحو: "وإذا حزمتي قد زُرعت"

ومن المهم استخدام كلمة "زُرعت"، لأن يوسف لم يُقم حزمته بنفسه، ولا قامت الحزمة من تلقاء ذاتها، بل الله هو من زرعها. فترجمة النص بهذه الطريقة تُظهر نعمة الله في مستقبل يوسف كحاكمٍ مُعيَّنٍ من قِبله.

ومن منظورٍ بشريّ، لم يكن ليوسف أي فرصة في الحكم وفقًا لنظام الوراثة أو البكورية، إذ كان كان يوسف الابن الحادي عشر! وكان من الطبيعي أن يتولى أخوه الأكبر رأوبين الحكم أولًا، ثم بعد موته ينتقل السلطان إلى الأخ الذي يليه، وهكذا حتى يأتي الدور على يوسف. وفقًا للمنظور البشريّ، كان يوسف خارج دائرة الحكم تمامًا؛ أما من منظورٍ إلهيّ وبحسب سياسة النعمة الإلهية، فكان يوسف في الصفّ المؤهَّل لنوال فضلٍ غير مكتسبٍ ولا مستحقّ.

أما الكلمة الثانية، فتعني "الانحناء أو السجود"، وتُستخدم في العهد القديم بمعنى التعبّد أو السجود أمام ملكٍ أو شخصيةٍ أعلى منزلةً. في الأزمنة القديمة، كان من عادة رعايا المملكة أن يسجدوا لملكهم، سواء في اجتماعٍ عام أو في لقاءٍ خاصّ.

وبذلك يمكننا إعادة صياغة النص على نحوٍ أكثر دقّة على الشكل التالي:
فقال يوسف لإخوته: "اسمعوا هذا الحلم الذي حلمته. ها نحن نحزم حزمًا في الحقل، فإذا بحزمتي قد زُرعت في وضعٍ منتصبٍ بإعجاز، وإذا بحزمكم استدارت وسجدت لحزمتي" (تكوين ٣٧:٦-٧).

لاحظ أن يوسف لم يكن له أي دور في جعل حزمته تقف منتصبة، ولا في جعل حزمات إخوته تسجد أمامه. إن نعمة الله وحدها هي التي أنجزت الأمرين.

حلم يوسف الثاني

ثم حلم أيضًا حلمًا آخر وقصّه على إخوته وقال: "ها قد حلمت حلمًا آخر، وإذا الشمس [ترمز إلى يعقوب] والقمر [ترمز إلى راحيل] وأحد عشر كوكبًا [إخوته] يسجدون لي". فقال له أبوه: "ما هذا الحلم الذي حلمتَه؟ هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض؟" (تكوين ٣٧:٩-١٠).

استخدم يعقوب في رده على يوسف كلمة شديدة تعبّر عن التوبيخ القاسي، وهي ذات الكلمة التي استخدمها الرب حين وبّخ الشيطان. ولو عبّرنا عن ردّه بأسلوبٍ معاصر لقال له شيئًا كهذا: "يوسف! ما هذا الحلم الغريب الذي تراه؟ يبدو أنك تُكثر من الأكل قبل النوم!" ومع ذلك

"وكان أبوه يحفظ الأمر في قلبه" (تكوين ٣٧:١١).

تخيَّل للحظةٍ أن أحلام يوسف قد تحققت في اليوم التالي مباشرة. توقّف وفكّر: ما هي المؤهلات السبعة التي كانت ستمنحه تفوّقًا على إخوته الأحد عشر وعلى والديه؟ كم منها استطعت أن تعدّ؟

لا شيء، طبعًا! أترى الآن بصمات نعمة الله واضحة في حياة يوسف؟ الأمر ذاته ينطبق عليك، فحين تتأمل في حياتك سترى آثار النعمة الإلهية نفسها. فكل ما لديك وكل ما أنت عليه، إنما يأتي عبر قناة نعمة الله وحدها.

عقيدة الأحلام

مبادئ أساسية:

- كل إنسانٍ يحلم، سواء كان طبيعيًّا أو غير طبيعي، مؤمنًا أو غير مؤمن، أخلاقيًّا أو غير أخلاقي.

- الكتاب المقدس صامتٌ تمامًا بشأن سبب الأحلام.

- في العهد القديم، كان الله يتواصل من خلال الأحلام مع فئة محدودة من نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب (تكوين ١٢:٢٨؛ ٦:٣٧)، ومع قلّةٍ من خارج العائلة المختارة مثل أبيمالك ونبوخذ نصر (تكوين ٣:٢٠؛ دانيال ١:٢-٤٥).

- أمّا اليوم، فإن الله يتحدث إلينا من خلال فكر ابنه يسوع المسيح، كما هو موضَّح في كلمته المكتوبة (عبرانيين ١:١-٢؛ قارن مع كورنثوس الأولى ٢:١٦).

- لذلك، لا ينبغي للمؤمن أن يستخلص أي استنتاجات من أحلامه، لأن الله في هذا العصر يكشف مقاصده من خلال الكتاب المقدس، لا من خلال الأحلام.

تظهر كلمة "حلم" في الكتاب المقدس ٧٤ مرة، منها ٦٧ مرة في العهد القديم، ومعظمها في سفري التكوين ودانيال، وسبع مرات فقط في إنجيل متى في العهد الجديد. لا يُعطي الكتاب المقدس أيّ دلالةٍ خاصة للأحلام في عصر الكنيسة، لأننا نمتلك سكنى الروح القدس الكامل في داخلنا، ولدينا كلمة الله مكتوبة ومكتملة.

قد يقول البعض: "لكنني حلمتُ أحلامًا وتحققت فعلاً". غير أن المسألة لا تُقاس بالتجربة الشخصية، لأن الحقيقة الكتابية لا تُقاس أبدًا بالاختبار البشري. وكما يذكّرنا الكتاب المقدس

الله، بعدما كلّم الآباء قديمًا بالأنبياء بوسائل وطرقٍ كثيرة منها الأحلام والملائكة كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة بابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا أنشأ العالمين (عبرانيين ١:١-٢). ومن الحكمة أن نتبع مثال ربنا يسوع المسيح ورسله، إذ لم يأتِ أيٌّ منهم على ذكر الأحلام أو جعلها وسيلةً إلهية للتوجيه أو الإعلان.

تفسير الأحلام في العهد القديم

ينبغي أولًا أن نرسّخ مبدأً أساسيًا في تفسير الأحلام، وهو: عندما يكون الرمز في نطاقٍ طبيعي، تكون دلالته أيضًا في النطاق الطبيعي. لذلك، حين رأى يوسف في حلمه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا تسجد له، أدرك إخوته فورًا أن المقصود هو والدهم وأمهم وإخوتهم (تكوين ٣٧:٩-١١).

أما عندما يكون الرمز في نطاقٍ بشريّ كما في دانيال ٧:٨ "له عيون كعيون إنسانٍ وفمٌ متكلمٌ بعظائم" فإن التفسير يكون في النطاق الروحيّ. وبما أن إخوة يوسف فهموا هذا المبدأ، فقد علموا أن يوسف سيُمنح مكانة سلطةٍ وسيادةٍ على أسرة يعقوب بأكملها.

:

الفصل الثاني

أصل وجوهر الله

في هذا الجزء، سنركّز على بعض السمات الخاصة بجوهر الله حتى نستوعب أثر خطّته ومقصده في حياة يوسف. إذ إن نعمة الله تشمل جميع صفاته: برَّه، وعدله، ومحبّته، وحياته الأبدية، وسلطانه، وصدقه، وثباته، وقدرته الكلية، وحضوره الشامل، وعلمه الكامل. وسنكتفي هنا بدراسة الجوانب التي تتصل مباشرة بموضوعنا.

العِلم الكامل (علم الله المطلق)

العِلم الكامل لله هو المفتاح الرئيس الذي يفتح لنا فهم أحداث التاريخ البشري، وهو يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمعرفته المسبقة. فقد عرف الله، منذ الأزل، أدقّ تفاصيل التاريخ البشرية عرف ردود أفعال كل إنسان تجاه كل موقف، وكل قرارٍ ممكن ونتائجه. وليس هذا فحسب، بل عرف الله كل مشكلةٍ، أو ألمٍ أو خيبة أملٍ أو فشلٍ أو كارثةٍ ستواجهها منذ اللحظة الأولى لولادتك وحتى لحظة مغادرتك هذه الأرض.

والأجمل من ذلك كلّه أن الله، في حكمته المطلقة، هو المخرج العظيم الذي رتّب كل شيءٍ بدقّة، وقرّر كيف يستخدم أحداث التاريخ (خيرها وشرّها) لتحقيق مشيئته الإلهية ومقصده الأبدي.

وماذا يعني هذا لنا؟ يعني وبكل وضوح أنه مهما كانت التجارب أو الظروف التي تمرّ بها الآن أو ستواجهها لاحقًا، فإن الله قد رتّبها لتعمل معًا لخيرك، ما دمت ممتلئًا بالروح القدس وسائرًا في خطته المصمَّمة خصيصًا لحياتك. وقد عبّر داود عن هذه الحقيقة بقوله:

"يَا رَبُّ، قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ، وَكُلُّ طُرُقِي عَرَفْتَهَا" (مزمور ١٣٩: ١–٣).

قبل أن تكون الكلمة على لساني، ها أنتَ يا رب قد عرفتها كلها... عيناك رأتا جِنينِي، وفي كتابك كُتِبَت أيامي التي صُنعت، إذ لم يكن منها واحد بعدُ (مزمور ١٣٩: ١–٤، ١٦).

حينما أعلن الله بنعمته ليوسف ما سيؤول إليه مستقبله في الأحلام، كان قد علم مُسبقًا أن هذه الأحلام ستثير الحسد والعداوة في قلوب إخوته. وكان يعلم أن كراهيتهم له ستدفعهم إلى التفكير في قتله، وأن رأوبين سيكون شاهدًا على ما سيحدث. لكنّ هذه الخطة الإلهية المرسومة مسبقًا

كانت وسيلة لحماية وعده ليوسف، الوعد الذي لم يستحقه بجهدٍ أو استحقاقٍ ذاتي، بل ناله بنعمة الله وحدها. وقد عبّر إشعياء عن ثبات كلمة الله بقوله:

"يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ، أَمَّا كَلِمَةُ إِلَهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ" (إشعياء ٤٠: ٨).

ومهما تآمر الناس على يوسف، ظلّ الله أمينًا لكلمته. وقد أكّد متّى هذه الحقيقة بقوله:

"السَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ" (متى ٢٤: ٣٥).

السيادة الإلهية

ببساطة، السيادة تعني أن الكلمة الأخيرة لله، ولا مجال للنقاش بعدها. الله هو صاحب السلطان المطلق، لا يُراجع قراره أحد. ففي الأزل، دوَّن الله في "حاسوبه الإلهي" كلّ حدثٍ سيقع في التاريخ البشري. وبناءً على علمه السابق، رتّب الكيفية التي سيُنجز بها خطته. لقد "برمج" الله منذ الأزل الطريقة التي سيستخدم بها ضعف الإنسان وفشله لتحقيق مقاصده السامية.

وعن هذا قال المرنم: "لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ يَحْمَدُكَ" (مزمور ٧٦: ١٠).

لكن كيف يمكن أن يمدح الشرّ مجد الله؟ الإجابة نجدها في صفحات الكتاب المقدس المملوءة بالأمثلة التي تُظهر كيف استخدم الله شرّ الإنسان ليُعلن عظمته. ففرعون مصر مثالٌ من العهد القديم (رومية ٩: ١٧)، ويهوذا الإسخريوطي مثالٌ من العهد الجديد (أعمال الرسل ٢: ٢٣– ٢٤).

وخلال هذه الدراسة، سنرى كيف استخدم الله مؤامرة إخوة يوسف الأشرار لينقل يوسف من أعماق المعاناة إلى ذروة البركة في الزمان المناسب.

جانبان من سيادة الله:

١- يمكن لله أن يفعل ما يشاء بحسب مشورته الأزلية، في أي وقت وفي أي مكان، ما دام ذلك لا يُخلّ بذرة واحدة من جوهره الإلهي.

٢- وبقراره السيادي المطلق، عيَّن الله كيف سيُعِدّ ويستخدم "أواني الكرامة" لمجده، و"أواني الهوان" (أي شرّ الإنسان وغضبه) لإعلان تسبيحه وتمجيده هو.

الصدق الإلهي

الصدق، أو الحق، هو الأساس الذي تقوم عليه نزاهة الله، وهو الذي يحفظ كيان الله متماسكًا كما يحفظ القشرُ البيضةَ من الانكسار.
فلو أمكن لله أن يخطئ أو أن يتراجع عن وعدٍ واحدٍ مثل وعده بالحياة الأبدية لمن يؤمن بالمسيح لما كان هو الإله الذي يعلنه الكتاب المقدس، الإله الأمين الذي لا يتغيّر:

"لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يُوفِي؟" (العدد ٢٣: ١٩).

لقد بنى يوسف ثقته الكاملة على صدق الله ووعوده.
وأؤمن أن يوسف، مثل جدّه العظيم إبراهيم، كان يؤمن أن الله، حتى لو مزّق إخوته جسده بعد موته، قادر أن يجمع أعضاءه من جديد، ويقيمه حيًّا، ويحفظه إلى أن يُتمّ الله أحلامه بكل تفاصيلها (انظر العبرانيين ١١: ١٧–١٩).
ولا شكّ أن هذا الإيمان العميق جاء من تعاليم أبيه يعقوب عن صدق الله وأمانته.

ومع تقدّمنا في هذه الدراسة، سنرى أن إدراك يوسف العميق لهذه الصفة الإلهية (صدق الله) هو الذي منحه ثباتًا واتزانًا عجيبًا وسط الضغوط والتجارب. لقد كانت ثقته المطلقة قائمة على وعود الله الآب، وهكذا نحن أيضًا نستطيع أن نثق.

فلا شكّ أن الله سيُنجز خطته الكاملة لحياتك، ما دمت تسير في طريقه وتخضع لقيادته. هذه هي الحقيقة المطلقة التي لا تتبدل. استمع إلى ما قاله الله ليعقوب:

"وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ" (تكوين ٢٨: ١٥).

وكتب لوقا يقول:

"لأَنَّ دَاوُدَ بَعْدَمَا خَدَمَ مَقْصِدَ اللهِ فِي جِيلِهِ، رَقَدَ [مَاتَ] وَانْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ، وَرَأَى فَسَادًا" (أعمال ١٣: ٣٦).

أنتَ كمؤمن بالرب يسوع المسيح لن تغادر هذه الحياة ثانيةً واحدة قبل الموعد الذي عيّنه الله لك، ولن تبقى ثانية واحدة بعدها. فعندما يُكمِل الله مقصده من حياتك، يدعوك إلى بيتك الأبدي. إلى أن يحين ذلك الوقت، لن تموت، حتى لو وقعت في يد أعتى إرهابي يمكن تخيّله. اسأل نفسك:

هل لديك ثقة مطلقة في وعود الله؟ هل تتمسّك بها بإصرار رغم كل الظروف والعقبات؟
هل تؤمن إيمانًا لا يتزعزع بأن الله لا يمكن أن ينقض كلمته؟

تمسّك بوعوده بإحكام. سواء أشرقت الشمس أم هطلت الأمطار، وسواء كان طريقك الروحي سهلاً أو وعرًا، فإن الله سيتمم وعوده كلها، نعم، جميعها بلا استثناء! "انْتَظِرِ الرَّبَّ".

الحضور الإلهي الكامل

كثيرًا ما ننسى أن حضور الله يملأ كل مكان. وكان داود الملك يعي هذه الحقيقة بعمق حين كتب يقول:

"إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ، وَمِنْ وَجْهِكَ إِلَى أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنِ اتَّخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ، وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ" (مزمور ١٣٩: ٧–١٠).

يا لها من طمأنينة عظيمة أن تعرف أن الرب معك مهما كانت ظروفك خطيرة أو حالتك صعبة! بل إنه يسير أمامك ويمهّد طريقك، كما قال موسى ليشوع في كلماته الأخيرة:

"وَالرَّبُّ هُوَ السَّائِرُ أَمَامَكَ. هُوَ يَكُونُ مَعَكَ. لاَ يُهْمِلُكَ وَلاَ يَتْرُكُكَ. لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ" (تثنية ٣١: ٨).

مبادئ:

- الله دائمًا يسبقك في كل موقف ومكان.
- يرى كل العثرات والمخاطر التي تنتظرك قبل أن تصل إليها (تثنية ٣٣: ٢٦).

- ولأنه يرى جميع المخاطر التي تنتظرك، فهو قادر أن يقودك لتتجنبها أو لتجتازها بسلام طالما أنك باقٍ تحت إرشاده وممتلئ بالروح القدس.

هذه المبادئ الثلاثة تُشكّل جوهر حماية الله وإرشاده لحياتك من خلال نعمته. فهو يتقدّمك ليمهّد الطريق، ويستكشف العثرات قبل أن تصل إليها، ويضع الاستراتيجيات اللازمة لمسيرتك. لقد عرف أنفاسك كلها منذ الأزل، قبل أن يُوجَد الزمن. وقد عبّر المرنّم عن هذه الحقيقة بقوله:

"أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ" (مزمور ٣٢: ٨).

إنه لا يكتفي بإرشادك من خلال حقائق الكتاب المقدس الراسخة في ذهنك، بل يُبقي عينيه عليك في كل لحظة من حياتك وهذا وحده يجب أن يكون عزاءك! فهو لا ينعس ولا ينام في سهره الدائم عليك:

"لاَ يَدَعُ قَدَمَكَ تَزِلُّ. لاَ يَنْعَسُ حَارِسُكَ. هُوَذَا لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَارِسُ إِسْرَائِيلَ. الرَّبُّ حَارِسُكَ. الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَدِكَ الْيُمْنَى. لاَ تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ وَلاَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ. الرَّبُّ يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ. يَحْفَظُ نَفْسَكَ. الرَّبُّ يَحْفَظُ خُرُوجَكَ وَدُخُولَكَ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ" (مزمور ١٢١: ٣–٨).

كان هذا المفهوم الكتابي متجذّرًا في فكر داود الملك عندما كتب قائلاً:

"الرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ. فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي. يُرَدِّدُ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. أَيْضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي" (مزمور ٢٣: ١–٤أ).

كان يوسف، مثل داود، يُدرك أن الله يتعامل معه على أساس نعمته وحدها وكذلك يجب أن ندرك نحن أيضًا هذه الحقيقة.

قدرة الله المطلقة

إن ما يعد به الله، فهو قادر أن ينجزه، لأنه يمتلك الكمال والقوة لفعل ذلك فلديه قدرة مطلقة. وقد يتساءل أحدهم: "لماذا لم يخلّصني الله من ضيقي؟ لماذا يصمت؟ لقد صلّيت مرارًا وتكرارًا من أجل حلّ مشكلتي، لكنه لا يجيب!" — لا تدع هذا يُحبطك! ينبغي أن نُدرك أمرًا جوهريًا: قدرة الله المطلقة وأمانته لا تُقاسان بمقاييسنا نحن، بل بمقاييسه هو.

مبادئ:

- يستخدم الله كل وسيلة ليُنجز مقاصده، ويفعل ذلك في إطار نعمته.
- إن "المعاناة في النعمة الفائقة" تُنمي فينا عضلات روحية أي القدرة على تقدير البركات حتى يتمكن الله من أن يمنحنا بفيضٍ وفرةً من البركات في هذا الزمان وفي الأبدية أيضًا.
- لم ينل أحدٌ، بما في ذلك ناسوت المسيح نفسه، إكليل المجد من الآب دون المرور بفيضٍ من الآلام، ومع ذلك، لا يمكن أن تقارن معاناة أي إنسان بآلام المسيح.
- من خلال حقائق الكتاب المقدس التي نتعلمها ونطبقها تحت إرشاد الروح القدس، نتعلم أن نحيا حياة مملوءة وغنية حتى في وسط المعاناة.

تذكّر دائمًا أن الله هو من سمح بمعاناتنا، ولا ينوي أن يرفعها إلا في الوقت المناسب وفق حكمته الأزلية.

الفصل الثالث

نعمة الأتون وسط المعاناة

لا أحد من البشر يرغب في المعاناة بأي شكل من الأشكال. لكن المعاناة أمر لا مفر منه، لأنها نتيجة سقوط الإنسان الأول في الخطيئة. ومع ذلك، يجب أن نتذكّر أن الله يملك القدرة الكاملة على إيقاف أي نوع من الألم في أي وقت وأي مكان. ومع هذا، يسمح الله بأن نعاني لأنه يريد أن يباركنا بطريقة خاصة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال المعاناة.
ولكي نفهم المعاناة التي اختبرها يوسف فهمًا أعمق، نعرض تسعة مبادئ روحية أساسية:

- الله هو سيد التاريخ البشري ومدبّره المطلق
- منذ ملايين السنين، سبق الله وعيَّن كل ظرف في الحياة الجيد منها والسيئ ليُنجز مقاصده الأبدية. ويجب أن نتذكّر أن الله ليس هو مصدر الشر؛ بل إرادتنا البشرية السلبية هي السبب.
- يراقب الله أدق التفاصيل في حياتنا، حتى الصداع البسيط أو الإحباطات الصغيرة. لا شيء يفاجئ علم الله الكلي.
- لا وجود لما يُسمّى بالحوادث أو الحظ السيئ في خطة الله الثابتة؛ فلا يحدث شيء دون إذنه.
- علم الله السابق أخذ في الاعتبار النتائج المتزامنة لكل أحداث حياتنا، وهو الآن يسمح لها بأن تسير وفق مجراها لتحقيق خطته.
- سيادة الله هي التي تسمح بكل الظروف الصعبة التي يختبرها المؤمنون بالمسيح.
- يستخدم الله الآب كل أنواع المعاناة ليُنمّي في المؤمنين السعة الروحية التي تؤهلهم لنوال بركاتهم الخاصة المصممة لهم بحسب خطته الفردية.
- لله وحده السلطان الكامل على تحويل معاناة المؤمن إلى بركة فائقة المجد.
- المؤمن الذي يمتلك خزانًا من حقائق الكتاب المقدس ويطبقها باستمرار هو وحده القادر على أن يحيا بفكرٍ إلهي، وبذهنٍ مستريح، ونفسٍ مطمئنة، بينما يُحوّل الله (كل الأشياء) معًا للخير كل ذلك لأن هذا المؤمن يُحب الله. ونحن نُظهر محبتنا لله بطاعته من خلال التعلّم وتطبيق كلمته على أفكارنا. لا يمكننا أن نحب الله أو البشر جميعًا ما لم نتعلّم أولًا المهارات الضرورية كما حددها لنا في كلمته.

وبعد أن رسّخنا هذه المبادئ الجوهرية، يمكننا الآن أن نتأمل في واحدة من أهم العقائد في كلمة الله كلها: **النعمة كأتونٍ للمعاناة.**
عندما نفكر في النعمة، غالبًا ما نتصورها تجربة دافئة ومريحة، لكن الحقيقة أن المعاناة جزء جوهري من النعمة، كما أظهرَت لنا حياة يوسف. نصلي طالبين أن يباركنا الله، ولكن عندما

يستجيب صلاتنا بأن يُهيّئنا أولًا في أتون المعاناة، نسارع في التضرع لكي يُخرجنا منها. وللأسف، يلجأ بعض المؤمنين إلى ما يُعرف بـ "اجتماعات التحرير" بحثًا عن المساعدة. والمفارقة أن الاختبار في أتون الله هو بالذات الوسيلة التي بها يجعل الله المؤمنين متواضعين ويمنحهم الفرصة ليصبحوا أشخاصًا موجهين بالنعمة. فالمؤمن المملوء بمعرفة الكتاب المقدس يستطيع أن يستخدم وجهة النظر الإلهية وسط حرارة التجربة. وكان هذا صحيحًا في أيام يوسف، وهو أكثر صحة في زماننا، لأننا نمتلك اليوم موارد روحية أعظم بكثير من أبطال العهد القديم.

كل من يظن أن الحياة الروحية مجرد "زينة على الكعكة" على الأرجح لا يعيش الحياة الروحية الحقيقية. خذ مثال أيوب، الذي لم يرَ صفحة واحدة من الكتاب المقدس، ومع ذلك تمسّك بعقيدة مذهلة: المعاناة التي يسببها عمل النعمة تسبق البركة. إذ قال:
"لكنه يعلم طريقي، إذا امتحنني أخرج كالذهب" (أيوب ١٠:٢٣).

يا له من إيمانٍ رائع في إلهه!
فالحياة الروحية صعبة إلى درجة أننا لا نستطيع أن نحياها بقوتنا البشرية، بل فقط بالاتكال الكامل على كلمة الله وبقوة الروح القدس المُمكِّنة. هكذا صمّمها الله، خطة كاملة لإنسانٍ غير كامل. لكن، لماذا سمح الله ليوسف أن يمرّ بكل هذا الكمّ من المعاناة الطويلة والشديدة؟ ولماذا تعاني أنت أيضًا رغم أنك مؤمن بالرب يسوع المسيح؟

"هأنذا قد نقيتك، ولكن لا كفضة. امتحنتك في كور المشقة" (إشعياء ٤٨:١٠).

الكلمة المترجمة "مُمتحَن" أو "مُختبَر" تعني "اختباراً دقيقاً" أو "تمحيصاً"، أي أن الله يصف عملية التجربة بأنها وسيلة لتنقية الإنسان وتنمية إيمانه، لا للعقاب أو الإدانة. وتعني أيضا "الحُكم من خلال الاختبار ليصير المرء ممتازًا، أي الأفضل". أما الفعل المترجَم إلى "نقّاني" في الترجمة الأمريكية الحديثة، فيسلّط الضوء على المعاناة كشرط أساسي لنوال البركة الفائقة. والمعنى الحرفي هو "تنقية النحاس أو الفضة أو الذهب في أتون النار". وتمثل هذه العناصر الثلاثة المراحل الثلاث للنمو الروحي: الطفولة، والمراهقة، والنضج. الله عادل، وفي عدله يكافئ كل مؤمن بحسب نموه الروحي. وقد أوضح الرسول بولس هذه الحقيقة بجلاء في (كورنثوس الأولى ٣: ١٢–١٥).

الآن، إن كان أحد يبني على الأساس ذهبًا أو فضة أو حجارة كريمة (أو نحاسًا) ... فسينال أجرًا بحسب نوعية حياته الروحية.

لننظر إلى الفعل «ينقّي» في معناه الحرفي، مستخدمين الذهب مثالًا لذلك. أولًا، على عامل المناجم أن يجد موقع الذهب. ثم، وهو مجهّز بأدواته، يبدأ بالحفر لأقدام عديدة، ممزوجًا عرقه بالطين وهو يزيل التراب. وأخيرًا يرى كتلة كبيرة من الذهب الخام، لكنها ليست سوى بداية عملية طويلة. يقوم بعدها بغسل الكتلة بمادةٍ تساعد على فصلها عن الشوائب الكبيرة وتحول دون تأكسدها في الأتون. وبعد عدة مراحل أخرى، يضع الذهب في فرن شديد الحرارة لتنقيته أكثر. وفي النهاية، يظهر بريق المعدن الثمين بكل مجده ولمعانه! أنا لست صائغًا، لكني أعلم أمرًا واحدًا: الذهب يمر بعملية تطهير شديدة وحرارة هائلة قبل أن يصبح معدنًا ذا قيمة ومطلوبًا.

وعملية التنقية في صهر الذهب تمثل الشوائب التي ينقّينا الله من خلالها بنعمته العجيبة بواسطة "المعاناة". فبواسطة الألم وحده يمكننا أن نصبح ما أسمّيه مؤمنين من ذهب. عامل المناجم هو من يقوم بكل الجهد في إنتاج الذهب، لكن في إنتاج "المؤمن الذهبي"، الله هو من يقوم بكل العمل، فلا يبقى لنا أي مجال للفخر أو النسبة لأنفسنا. فمنذ سقوط الإنسان وتوارث خطيئة آدم الأصلية في طبيعة كل مولود جديد، امتلأ الإنسان بالشوائب، ومنها:

١- **الكبرياء:** وهي أول خطيئة ارتُكبت على الإطلاق. يصف النبي إشعياء في الأصحاح الرابع عشر والكلمات الثانية عشرة وما بعدها كبرياء الشيطان، كما عبّر عنها في إعلاناته الخمسة "سأفعل"، وهي تعبير عن ادعاء تفوّقه على الله.

٢- **انعدام الخضوع للسلطة:** نجح الشيطان في الجنة في أن يدفع الأبوين الأولين، آدم وحواء، إلى رفض سلطة الله.

٣- **انعدام التواضع:** إن الانشغال بالذات، وهو ثمرة من ثمار الكبرياء، يجعل في داخلنا ميلاً طبيعيًا للاعتقاد بأننا أفضل من الآخرين، وأننا لا نحتاج إلى أحد حتى الله ليخبرنا بما يجب أن نفعل.

٤- **انعدام الوعي بالنعمة:** لدينا أيضًا ميل فطري لرفض حقيقة أن كل ما نملكه أو سنملكه في هذه الحياة أو في الأبدية هو عطية مباشرة من الله، غير مكتسبة ولا مستحقّة.

٥- **انعدام الامتنان:** لا نشعر بالامتنان لما لدينا لأننا نرى أنفسنا مصدر نجاحنا وجمالنا وصحتنا وغنانا وذكائنا وشهرتنا ومواهبنا.

٦- الدافع نحو الخطيئة: نحن مولدون بدافع نحو حياة جسدية دنيوية، متأثرين بالعالم والجسد والشيطان (هو وأعوانه)، بدلًا من الخضوع لله.

٧- الاعتماد على الذات: الإنسان بطبيعته متمركز حول نفسه، يريد أن يُثبت قدرته على تدبير كل أموره بنفسه، مقتنعًا بأن حلوله هي الحلول الوحيدة الصحيحة.

دعني أطرح الأمر بشكل شخصي: تخيّل أن أمامك خيارين:

- بركات فائقة الغنى ترافقها معاناة يسمح بها الله ويصممها الشيطان خلال زمنك على الأرض.
- حياة بلا معاناة، لكن أيضًا بلا بركة، لا في الزمن ولا في الأبدية.

أيّ الخيارين تختار؟ اختيارك يكشف عن مستوى نضجك الروحي وعمق رغبتك في تمجيد الله. فالمؤمن الناضج يحتمل آلامه لأنه يعلم أن تمجيد الله إلى أقصى حد لا يتحقق إلا عندما يثق به وسط المعاناة.

بالطبع، يستطيع الله القدير أن يزيل معاناتك بلمح البصر في لحظة واحدة تختفي تماما.
لكن، هل تعلم ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ تدمير الذات! عندما نُخرج أنفسنا من خطة الله، نبدأ في هدم حياتنا بأيدينا، إلى أن ننتهي بما يسمى بالموت بالخطيئة، أي النهاية المؤلمة الناتجة عن الانفصال عن مقاصد الله. فأخبرني، أيُّ شيءٍ يمكن أن يفوق عمل النعمة الإلهي هذا، الذي من خلاله يحفظ الله نزاهتك الروحية وسلامك الداخلي وسط الألم، حتى لا تخسر في الزمن ولا في الأبدية؟ أما أنا، فأعلم أن قائد حياتنا الروحية، الرب يسوع المسيح، كان راضيًا تمامًا بمعاناته الفريدة التي سمح بها الله. وكذلك كان الرسول بولس وعدد قليل من المؤمنين الآخرين في الكتاب المقدس الذين قبلوا معاناتهم بفرح وثقة في حكمة الله.

يجب علينا نحن أيضًا أن نصل إلى مستوى النضوج الروحي الذي يجعلنا نشكر الله على معاناتنا. ومع الأسف، يُعلّم كثير من الإخوة تعاليم خاطئة تزعم أن المعاناة ليست جزءًا من الحياة الروحية، وأن على المؤمن ألا يرضى بها لأن وجودها دليل على الضعف الروحي أو التراجع في الإيمان. ضحايا هذا الفكر المضلِّل يركضون بلا كلل من كنيسة منحرفة إلى أخرى، يبحثون عن خلاص جسدي من آلامهم، ولكن دون جدوى.
إن هذا التعليم يتناقض تمامًا مع الكتاب المقدس، إذ يقول الرسول بولس:

"فإني قد تعلمت أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه. أعلم أن أتضع، وأعلم أيضًا أن أستفضل؛ في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع، أن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (فيلبي ٤: ١١-١٢).

في الحقيقة، النوع الوحيد من المعاناة التي لا يجب أن يرضى بها المؤمن هو المعاناة الذاتية الناتجة عن خروجه من خطة الله بسبب الخطيئة.

لقد قلنا ذلك من قبل، لكن دعنا نؤكد عليه هذه المرة:
المعاناة أمر حتمي للمؤمنين الناضجين الذين يخوضون معارك روحية حقيقية.
كلما أسرعت في إدراك هذه الحقيقة، تمكنت من التعامل مع الألم بسلام وثبات.
فعندما تؤمن أن المعاناة جزء لا يتجزأ من حياتك الروحية، فلن تنهار عندما تصيبك فجأة، لأنك ستكون مستعدًا لها. كما يقول المثل: من يُنذر مسبقًا يُستعد جيدًا. ولهذا قال الرب يسوع المسيح كما سجله الرسول يوحنا:

"قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا: أنا قد غلبت العالم" (يوحنا ١٦:٣٣).

وأضاف الرسول بولس مؤكدًا نفس المعنى:

"لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضًا."
(كورنثوس ٥:١ ٢).

"لأنّه قد وُهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط [وتنالوا الخلاص الأبدي]، بل أيضًا أن تتألّموا لأجله" (فيلبي ١:٢٩).

ففي اللحظة التي تُعلن فيها ولاءك للمسيح بالإيمان به وحده، تصبح عدوًّا للشيطان. سيسعى بكل ما أوتي من جهد ليجعل حياتك في المسيح مليئة بالشقاء. ومع ذلك، لا ينبغي لنا أن نرضخ لرغبته هذه. للأسف، قد جمع الشيطان أكوامًا من الضحايا الذين انسحبوا إلى متلازمة "لماذا أنا؟". هذا لا ينبغي أن يحدث! فلا يستطيع المؤمن أن يخفّف من معاناته بالاعتماد على الحلول البشرية. فالمعاناة في ذاتها ليست خطيئة إطلاقًا؛ غير أنّها قد تثير سلسلة من ردود الفعل المليئة بالخطايا إن نظر إليها الإنسان كلعنة بدلاً من البركة التي قصدها الله منها.

المعاناة في اضطراب أو في سلام

فلنرجع خطوة إلى الوراء لننظر عن قرب إلى السبب الجذري للمعاناة. الله، في علمه الكامل،

علم أنه بعد سقوط الإنسان في الجنة، ستصبح نفس كل مؤمن ساحة معركة بين الطبيعة الخاطئة القديمة والروح القدس. ومن المؤسف أنّ كثيرين من المؤمنين لا يدركون حقيقة هذه الحرب الروحية المستمرة. فعندما يهاجم الشيطان وأتباعه المؤمنَ بالآلام، فإن هدفهم واضح دائمًا: اقتحام النفس من خلال الطبيعة الخاطئة القديمة، وتعطيل عمل الروح القدس بواسطة القلق والاضطراب. إنهم يقطعون خط الإمداد الروحي للحق الكتابي بالخوف، فيُعطلون قدرة المؤمن على النظر إلى معاناته أيًّا كانت من منظور إلهي. وعندما ينجحون في ذلك، يُترك الضحية بجراح ميدان معركة داخل النفس: نفس منهكة، مكتئبة، تغمرها حلول بشرية زائفة.

تتحول النفس المنهكة المكتئبة إلى حاضنة لمختلف أنواع الأمراض الروحية كالتمرد، والتذمر، والأنين، والتأوّه، والشعور بالذنب، والشفقة على الذات، ومتلازمة "لماذا أنا؟"، والكلام الجارح، والقلق، والخوف، والخبث، والغضب الشديد، والمرارة، وفقدان الاهتمام بعقيدة الكتاب المقدس وتطبيقها. مثل هذا المؤمن قد يصير متوهّمًا وغير عقلاني، فلا يمكن تمييزه عن غير المؤمن. وإن لم يُخرج المؤمن كل خطيئة من نفسه بسرعة من خلال الاعتراف بها لله الآب (يوحنا الأولى ١:٩)، فإن سمومها قد تُلحق ضررًا جسيمًا بسلامته الجسدية أيضًا.

الملك داود الذي ارتكب الزنا والقتل (صموئيل الثاني ١١ و١٢) اختبر بنفسه المعاناة الناتجة عن الشقاء الذاتي الممزوج بالتأديب الإلهي.

"لما سكت عن خطيّتي بليت عظامي من زفيري اليوم كله، لأن يدك ثقلت عليّ نهارًا وليلًا، تحولت رطوبتي إلى يبوسة القيظ "(مزمور ٣٢: ٣-٤).

"لأن سهامك قد انغرست فيّ، وضغطت عليّ يدك. ليس في جسدي صحة من وجه سخطك، وليس في عظامي سلامة من أجل خطيّتي. لأن آثامي قد علت فوق رأسي، كحمل ثقيل أثقل من أن أحتمله. قد أنتنَت جراحاتي وفاحت رائحتها من أجل حماقتي. أنا منحني جدًا ومنكسر جدًا، أذهب حزينًا اليوم كله. لأن خاصرتي قد امتلأت التهابًا، وليس في جسدي صحة. قد ضعفت وانسحقت جدًا، كنت أئن من أنين قلبي" (مزمور ٣٨: ٢–٨).

هذا هو الوصف الدقيق لنفسٍ اقتحمتها المعاناة الناتجة عن الخطيئة. لكن هناك وجه آخر لعملة المعاناة، وهو النفس التي في سلام. النفس المسالمة هي نصيب المؤمن الذي يرفض أن ينظر إلى معاناته من خلال عدسة التفكير البشري. فهو لا يسمح للمعاناة أن تتفرع إلى خطايا مثل التذمر أو الشفقة على الذات التي تغزو النفس وتنهكها، بل من خلال إرشاد الروح القدس يركّز على الحلول الإلهية بدلًا من الحلول البشرية. ومن الواضح أنه عندما نقارن بين النفس التي غزتها الطبيعة الخاطئة القديمة والنفس التي يسكنها الروح القدس، نرى أن المؤمن الممتلئ

بالروح يمتلك القدرة على اختبار ثمر الروح، وهو المحبة، الفرح، السلام، الصبر، اللطف، الإيمان، الوداعة، والتعفّف (غلاطية ٥: ٢٢–٢٣).

أنواع المعاناة

جميع المؤمنين الروحيين يُختبرون في لهيب أتون نعمة الله الفائقة. كثير من المؤمنين ينسون أن المعاناة هي وسيلة للنمو الروحي ولتمجيد الله إلى أقصى حد. إنهم ينشغلون بحرارة الأتون بدلاً من أن يركّزوا على مجد الله. يجب علينا أن نتألم إذا كنا نريد أن نطوّر عضلات روحية، أي قدرة على الحياة، وقوة تمكّننا من السباحة في محيط بركات الله. وقبل أن نعود إلى قصة يوسف ومعاناته، لنلقِ نظرة على الأنواع الخمسة للمعاناة التي يختبرها المؤمن:

١- المعاناة الناتجة عن الذات

٢- التأديب الإلهي

٣- ديناميكيات النمو الروحي

٤- معاناة مرتبطة بالمجد الإلهي والشيطان يسمح بها

٥- معاناة الشوكة في الجسد

المعاناة الناتجة عن الذات

المعاناة الذاتية أو الناتجة عن تصرف الإنسان هي أكثر أنواع المعاناة إيلامًا. هذا النوع من المعاناة ينشأ حتمًا نتيجة اتخاذ قرارات سيئة مبنية على الفكر البشري وليس على فكر الله. فعندما يفشل المؤمن في تطبيق تعاليم الكتاب المقدس بشكل صحيح على ظروف حياته، يتخذ قرارات خاطئة. وقد حذّر الرسول بولس، بإرشاد الروح القدس، قائلًا:

"لا تضلوا، الله لا يُشمخ عليه، لأن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا" (غلاطية ٦:٧).

وقد كرر بولس مبدأً سبق تسجيله في العهد القديم:

"لأنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة" (هوشع ٨:٧).

من يسقط في حفرة القرارات الخاطئة يخرج منها مغطى بالوحل. خذ الزواج كمثال؛ فالمؤمن الذي يتجاهل وصايا الله ويتزوج من غير مؤمن سيعاني عواقب وخيمة يصعب حتى الحديث عنها. كما يوضح لنا كلٌّ من إبراهيم وحفيده يعقوب هذه الحقيقة أيضًا. وليس من نطاق هذا الدرس أن نخوض في تفاصيل خطايا هذين المؤمنين، ولكننا سنلقي نظرة سريعة. فقد وعد الله إبراهيم بابن، وعندما تأخر تحقيق الوعد بحسب توقيت إبراهيم الخاص، استمع إلى نصيحة زوجته وارتكب الزنا مع هاجر جاريته. ونتج عن ذلك ميلاد إسماعيل، الذي أصبح أصل الأمم العربية (تكوين ١٦: ١-١٥). إن العداء القائم بين العرب والإسرائيليين اليوم هو في جوهره نتيجة قرار واحد خاطئ من رجل واحد. لقد زرع إبراهيم ريح الزنا، فحصد إعصار العداوة الشديدة بين الشعبين اللذين وُلدَا من نسله. ولو كان إبراهيم حيًا اليوم، لشهد بنفسه النتائج المأساوية لعدم صبره على توقيت الله الكامل.

الشخص الثاني في مثالنا هو يعقوب. يوضح الكتاب المقدس أن يعقوب خدع أباه العجوز ضعيف البصر، عندما تظاهر بأنه أخوه الأكبر عيسو، لينال البركة التي كانت مخصصة لعيسو (تكوين ٢٧: ١-٢٩). وبعد سنوات عديدة، حصد يعقوب الخداع نفسه من حماه لابان. فقد كان الاتفاق بين يعقوب ولابان أن يخدم يعقوب سبع سنوات، وفي نهاية هذه المدة يتزوج راحيل التي أحبها كثيرًا. ولكن في نهاية السبع سنوات، خدعه لابان وأعطاه ليئة بدلًا من راحيل (تكوين ٢٩: ١-٢٥). ينبغي لهذه الأمثلة أن تجعلنا ندرك بعمق أنه عندما نزرع بذور الخداع أو نرتكب الخطايا عمدًا، فإن تلك البذور ستنبت عاجلًا أم آجلًا في شكل معاناة نصنعها بأنفسنا. وعندما تكون المعاناة ذاتية المنشأ، يجب على المؤمن أن يتبع تعليمات دقيقة ليحوّل معاناته إلى بركة. عليه أن يعزل الخطايا التي جلبت عليه المعاناة وأن يعترف بها لله الآب. وقد فعل الملك داود ذلك حين قال:

"أعترف لك بخطيّتي، ولا أكتم إثمي. قلت: أعترف للرب بذنبي، وأنت رفعت إثم خطيّتي" (مزمور ٣٢: ٥؛ انظر أيضًا يوحنا الأولى ١: ٩).

بعد ذلك، ينبغي للمؤمن أن ينسى تلك الخطايا، وأن يواظب يوميًا وبجدّ على تعلّم كلمة الله. وإذا استمرّت المعاناة، فلا ينبغي أن يضطرب. بل بتطبيق تعليم الكتاب المقدس في فكره، يدرك أن الله قد غفر له، وأن المعاناة الباقية إنما هي لبركته (مزمور ١١٩: ٦٧، ٧١).

التأديب الإلهي

يرتبط التأديب الإلهي ارتباطًا وثيقًا بالمعاناة الناتجة عن الذات. فعندما نختار أن نزرع بذور الجسدية المستمرة، يضاعف الله ألم الشقاء الذي جلبناه لأنفسنا. إنّ مضاعفة الله لمعاناتنا هو جزء من سياسة نعمته ومحبته التي لا تفشل (عبرانيين ١٢: ٦). فهو يتعامل معنا دائمًا بالنعمة مهما كانت نقائصنا الروحية. وإذا كنا متواضعين بما فيه الكفاية لنصغي إليه حين يأخذنا عبر أتون النعمة في المعاناة، سنحقق ما يلي:

١- سنأخذ حياتنا الروحية على محمل الجد.
٢- سنتقرب من الله ونبدأ نموًا روحيًا جديدًا ضروريًا لنوال بركات النعمة الفائقة (عبرانيين ١٢: ٩-١٥؛ أعمال الرسل ٢٠: ٣٢).
٣- وأخيرًا، عندما يُتم الله عملية التأديب، سنفكر مليًا قبل أن نسلك طريق الخطيئة مرة أخرى.

"قبل أن أذلّ، أنا ضللت، أما الآن فحفظت قولك... خير لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك" (مزمور ١١٩: ٦٧، ٧١).

كثيرًا ما يسأل الناس: كيف يمكنني أن أعرف إن كانت معاناتي مرتبطة بالتأديب الإلهي؟ الجواب في أربع كلمات: التأديب الإلهي لا يُحتمل. والسبب هو أنك قد أغلقت مجرى الحل الإلهي وقوة الله بسبب جسديتك. بعض المؤمنين قد يصل بهم الأمر إلى الانتحار هربًا من حرارة التأديب الإلهي التي لا تُطاق.

معاناة النمو الروحي

هذا النوع من المعاناة يشبه التجربة الأكاديمية التي تنقسم إلى ثلاث مراحل: الابتدائية، والثانوية، والجامعية. ففي المراحل الأولى يتلقى الطالب تعليمًا أساسيًا يُعدّه للتعلم المتقدم. ويُختبر مرات عديدة لقياس جودة تعلمه وقدرته على الانتقال إلى المرحلة التالية. وكلما تقدّم في المراحل، أصبحت المناهج أصعب وكذلك الامتحانات.

نظامنا الروحي يشبه النظام التعليمي، ويمكن تصنيفه أيضًا إلى ثلاث مراحل: الطفولة، والمراهقة، والرشد الروحي. في قاعة الدراسة الروحية، يكون الكتاب المقدس هو المرجع الأساسي لجميع المراحل، والروح القدس هو المعلّم الذي يعمل من خلال المعلّم البشري الذي أقامه الله، أي الواعظ المعلّم. أما المعاناة فهي الامتحان الروحي (يعقوب ١: ٢-٤).

الله الآب هو من يدير هذه الاختبارات في كل مرحلة روحية ليرى مقدار الكلمة التي استوعبناها. على سبيل المثال، قد يعلّم الواعظ المؤمن عن محبته لله مقارنة بمحبته لأمور هذا العالم، ثم يسمح الله للشيطان أن ينزع ثروة هذا المؤمن كلها. ويكون الهدف من هذا الامتحان اختبار موقفه الذهني أثناء المعاناة: هل سيتذكر الحق الإلهي الذي تعلّمه ويبقى راضيًا، عالمًا أن مصدر كل الأشياء هو إله أبدي كريم؟ أم سيضطرب ويشعر بالمرارة أو الشفقة على نفسه؟ هل سيدرك أن الله قادر على أن يعوّضه عمّا فقده بعد انتهاء الاختبار؟ يواجه المؤمنون المعاناة لأن نسيجهم الأخلاقي يُنقّى في أتون النعمة والمعاناة (مزمور ١٨: ٣٠؛ ١١٩: ١٤٠؛ ٦٦: ١٠؛ إشعياء ١: ٢٥؛ أمثال ٣٠: ٥؛ بطرس الأولى ١: ٧).

إن المعاناة لأجل النمو الروحي تحقق الأهداف التالية:

١- المعاناة تزيل كبرياءنا وتغرس فينا روح التواضع

٢- المعاناة تهيئنا، ليس فقط لنيل الدعم العام من نعمة الله الذي يناله كل المؤمنين، بل لنوال البركات الفائقة المرتبطة بالنمو الروحي (يعقوب ١: ١٢).

٣- المعاناة تجعلنا قادرين على تقديم المشورة للآخرين الذين قد يرسلهم الله إلينا وهم في ضيق (كورنثوس الثانية ١: ٣-٥). ومع ذلك، يجب أن نكون حذرين جدًا في هذا الأمر (غلاطية ٦: ١). فالله لا يدعو أي مؤمن ليكون مستشارًا رسميًا أو ليؤسس مكتبًا للمشورة، لكنه قد يرسل إلينا مؤمنًا متألمًا، فننال نحن الامتياز أن نرشده إلى بئر الحق الكتابي الذي يشفي النفس.

٤- وقبل كل شيء، تساعدنا المعاناة على تقدير نعمة الله العلي.

معاناة مرتبطة بالمجد الإلهي والشيطان يسمح بها

يتكوّن هذا المجلس من الله الآب، القاضي الأعلى ومؤسس خطة التاريخ البشري الفريدة، والابن، الحمل الذبيح ورائد الحياة الروحية غير المسبوقة والمدافع عن المؤمن، والروح القدس، المرشد والمقوّي للمؤمن في قاعة المحكمة الروحية، والشيطان، المشتكي.

بعبارة بسيطة، أعظم شرف يمكن أن يمنحه الله لك في هذه الحياة هو أن يُذكر اسمك أمام مجلس الله المثلث والشيطان، لأن هذا يعني أن الله يعتبرك مؤمنًا ناضجًا روحيًا ومؤهلًا لتكون شاهدًا ماديًا ضد استجواب الشيطان. وعندما تجتاز هذا الامتحان، يحزن الشيطان وأعوانه، بينما تفرح الملائكة المختارة كلما دُعي مؤمن ناضج إلى منصة الشهادة ونجح في الاختبار.

عندما يُسمح للشيطان باستجواب المؤمن الناضج، يمنحه الله الإذن بأن يضربه بأنواع ودرجات مختلفة من المعاناة (أيوب ١: ٨). وعندما يقف هذا المؤمن على منصة الشهادة في وجه سهام الشيطان الملتهبة الموجهة نحوه، تنحدر الملائكة لتراقب كل تصرف من تصرفاته في وسط المعاناة الشديدة. لكل مؤمن فرصة واحدة فقط على منصة الشهادة ليمجّد الله إلى أقصى درجة، فيُسجَّل اسمه في سجل الأبطال الذين مجّدوا الله بما يتجاوز حدود الواجب الروحي. ولا يوجد طريق آخر لتحقيق ذلك. لذلك، إن كنت تنمو في النعمة وتتقدم نحو باب النضج الروحي العظيم، فكن يقظًا، لأنك عاجلًا أم آجلًا ستواجه معاناة قصوى لتحقيق التمجيد الأسمى لله.

معاناة الشوكة في الجسد

معاناة الشوكة في الجسد هي ألم ذهني وجسدي دائم، نوع من المعاناة المستمرة كالتنقيط المتتابع الذي لا يتوقف. قد تكون مرضًا مزمنًا أو معاناة تتفاقم تدريجيًا دون انقطاع، وقد تكون ظروفًا معاكسة مستمرة. وصف بولس معاناته بهذه الكلمات:

هل هم خدام المسيح؟ أنا أكثر منهم، في أتعاب أكثر، في سجون أكثر، في ضربات بلا عدد، في أخطار موت مرارًا كثيرة. من اليهود خمس مرات أخذت أربعين جلدة إلا واحدة. ثلاث مرات ضُربت بالعصي، مرة رُجمت، ثلاث مرات انكسرت بي السفينة، ليلة ويومًا قضيت في أعماق البحر. كنت في أسفار كثيرة، في أخطار من الأنهار، في أخطار من اللصوص، في أخطار من قومي، في أخطار من الأمم، في أخطار في المدينة، في أخطار في البرية، في أخطار في البحر، في أخطار بين إخوة كذبة. كنت في تعب ومشقة، في سهرات كثيرة بلا نوم، في جوع وعطش، كثيرًا بلا طعام، في برد وعري. وإلى جانب هذه الأمور الخارجية، هناك الضغط اليومي الملقى عليّ من الاهتمام بجميع الكنائس (رسالة كورنثوس الثانية ١١: ٢٣-٢٨).

الصلاة لا تزيل معاناة الشوكة في الجسد، لكنها تمنح المؤمن قوة تجعله راضيًا مهما كانت ظروفه. ولهذا نقرأ:
"لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلم طلباتكم لدى الله، وسلام الله الذي يفوق كل عقل، يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" (فيلبي ٤: ٦-٧).

متى يجب أن نتوقف عن الصلاة من أجل زوال معاناة الشوكة في الجسد؟
"من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات لكي يفارقني، فقال لي: تكفيك نعمتي" (رسالة كورنثوس الثانية ١٢: ٨-٩).

لم يكن في جواب الله لبولس أي غموض، بل كان واضحًا وصريحًا: الجواب هو "لا". الله لم يزل المعاناة، ولم يكن بحاجة إلى ذلك، لأن بولس كان يمتلك القوة الروحية المستمدة من كلمة الله المخزونة في نفسه، والتي مكّنته لا من احتمال المعاناة فقط، بل من شكر الله عليها أيضًا.
نحن اليوم لا نسمع صوت الله كما سمعه بولس، ولكن لدينا ما هو أعظم: الروح القدس يسكن في المؤمن الروحي، ويملأه ويقوده، ما دام لا يحمل في نفسه خطية غير معترف بها. وهذه هي وعود الله لنا:
"لأن هذا هو الله إلهنا إلى الدهر والأبد، هو يهدينا حتى إلى الموت" (مزمور ٤٨: ١٤).

يمكننا أيضًا أن نستخدم الحسّ الروحي السليم لتعديل صلواتنا. فعلى سبيل المثال، إن كنت قد ثابرت في الصلاة طالبًا من الله أن يزيل عنك معاناتك، ومع ذلك ما زالت المعاناة مستمرة، يمكنك أن تغيّر صلاتك، طالبًا بدلًا من ذلك النعمة التي تمكّنك من أن تبحر فوق أمواج الألم بالقوة التي لا يمنحها إلا هو وحده.

مبادئ:

- ترقية المؤمن هي امتياز خالص لإرادة الله السيادية ومشيئته وسروره.

- قرار الله بترقية المؤمن إلى موضع كرامة لا يعتمد على استحقاق ذلك المؤمن.

- بلوغ المؤمن لأقصى بركة إلهية يرتبط ارتباطًا مباشرًا بنمو قدرته الروحية من خلال تعلّم كلمة الله وتطبيقها.

- أياً كانت هذه الترقية الخاصة وهذه البركة، فإن معاناة ملازمة ترافقها لتُبقي المؤمن في تواضع دائم.

- إزالة المعاناة تعني إزالة الترقية والبركة معًا.

- الله لا يستجيب لطلب إزالة معاناة "الشوكة في الجسد"، كما أظهرت صلاة بولس لرفعها والإجابة السلبية من الله على ذلك.

- الله يضاعف نعمته بوفرة فائقة للمؤمن الذي يختبر معاناة "الشوكة في الجسد" بفرح وقبول.

معاناة بولس
في كتابنا **(بولس، تذكار النعمة)**، نتذكر كيف رفع الله بولس الذي كان سابقًا شاول الطرسوسي، قائد الهجوم الوحشي على المسيحية ليصبح أعظم رسول عرفه التاريخ! تلك هي النعمة الإلهية

بكل معانيها. لقد جاء تفويض بولس ليكون الذراع اليمنى للمسيح في عصر الكنيسة مباشرة بعد خلاصه، قبل أن يتعلّم خطة الله للكنيسة أو حتى يعرف بوجودها، فضلاً عن أن يتعلّم كيف يعيش الحياة الروحية. النعمة، مرة أخرى، هي الجوهر في كل ذلك. لقد كانت رفعة بولس إلى موضع الكرامة الروحية ومعاناته "الشوكة في الجسد" جزءين من حزمة واحدة مختومة بنعمة الله العجيبة:

قال الرب لحنانيا: "اذهب، لأن هذا الرجل [بولس، المعروف أيضًا بشاول الطرسوسي] هو إناء مختار لي، ليحمل اسمي أمام الأمم والملوك وبني إسرائيل. وسأريه كم ينبغي أن يتألم لأجل اسمي" (سفر أعمال الرسل ٩: ١٥-١٦).

ما نوع المعاناة التي تمرّ بها؟

يجب أن تخصّص وقتًا لتفحص معاناتك بموضوعية، مدركًا أن لكل نوع من المعاناة معنى وهدفًا وتعريفًا محددًا. يمكن للأسئلة التالية أن تساعدك في تحديد مصدر شقائك:

١- هل تعيش حياة مملوءة بالجسدية (الخطية)؟

٢- هل أنت في المكان الجغرافي الذي يريده الله لك؟ أي، هل أنت حيث يريدك الله أن تكون؟

٣- هل تقاوم خطة الله لحياتك وتفعل فقط ما ترغب به أنت؟

٤- هل تنمو روحيًا؟ هل تتعلم كلمة الله يوميًا وتطبقها باستمرار في تفكيرك، مهما كانت الإغراءات التي تدفعك لاستخدام الحلول البشرية؟

٥- هل رفعك الله إلى موضع قد يدفعك إلى الافتخار بمكانتك أو بنجاحك الروحي؟

إذا كانت إجابتك بنعم على السؤالين الأول والثالث، وبلا على السؤال الثاني، فمعاناتك على الأرجح ناتجة عن ذاتك، وقد أضاف الله إليها تأديبًا إلهيًا لخيرك. أما إذا كانت إجابتك بنعم على السؤال الرابع، فالله قد صمّم معاناتك لتقوية عضلاتك الروحية، أي لزيادة قدرتك على استقبال بركاته. وأخيرًا، إن كانت إجابتك بنعم على السؤال الأخير، فهناك احتمال كبير أن الله قد سمح لك بنوع من المعاناة المستمرة كوسيلة لحمايتك، لتمنعك من السقوط في الكبرياء، أعظم الخطايا وأصل كل الخطايا الأخرى.

المبدأ واضح:
كل معاناة لا يقصد الله أن يزيلها، يقصد أن تتحملها بوسائله الإلهية أي بقوة الروح القدس

وكلمته الثابتة الساكنة في نفسك، مع الصلاة طلبًا للقوة. لقد فعل الرب يسوع المسيح ذلك نفسه في جثسيماني، إذ صلّى فتعزّى وتقوّى (متى ٢٦: ٣٨–٣٩).

المؤمن الذي يسير تحت إرشاد الروح القدس يفرح حتى في معاناته، لأنه يعلم أنها تمجّد الله وتجلب له البركة. وهو يدرك تمامًا معنى القول:

"اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم" (تسالونيكي الأولى ٥: ١٨).

"شاكِرين كل حينٍ على كل شيء، في اسم ربنا يسوع المسيح، لله الآب" (أفسس ٥:٢٠).

إنّ هذا التعبير عن الشكر المتواضع لله يُظهر فَهْم المؤمن بأنّ الآب العليم بكل شيء يريد له الأفضل دائمًا، ويمنح الخير الكامل لأولئك الذين يثقون به.

نظام الأمان الإلهي

لأنّ "الشيطان هو إله هذا العالم" (يوحنا ١٢:٣١)، فأنت تعيش وتتحرك في أرضٍ معادية، غير أنّ الرب قال: "أنتم لستم من هذا العالم"، وصلّى من أجل حمايتك (يوحنا ١٧). الشيطان عدوّ شرس، ماكر إلى أقصى حد، يسير ذهابًا وإيابًا "كأسدٍ زائرٍ، يلتمس من يبتلعه" (بطرس الأولى ٥:٨) أي المؤمن الجاهل بكلمة الله.
لكن ما أعظم التعزية في قول الكتاب: " الذي فيكم أعظم من الذي في العالم" (يوحنا الأولى ٤:٤؛ انظر أيضًا ملوك الثاني ٦:٨-١٧).

الخبر السار أنّ الله يُحيط بك بسورٍ من نارٍ للحماية (زكريا ٢:٥) ما دمت مقيمًا في أرض الشيطان. والشيطان نفسه يعلم أن الله قد وضع حولك حماية كاملة (أيوب ١:١٠)، وهذه المعرفة وحدها يجب أن تكون لك عزاءً وطمأنينة. هذا هو جمال النعمة الإلهية العجيبة!

كمؤمنٍ بالرب يسوع المسيح، طالما أنك تتعلم وتطبّق كلمته يوميًا، فإنك تتمتّع بأقصى درجات الأمان الإلهي. الأمر في غاية البساطة. فلا نظام أسلحة متقدّم، ولا عمل إرهابي، ولا هجوم من الشيطان سواء منظور أو غير منظور ولا ذرّة من المعاناة يمكن أن تتجاوز أمان الله لتصيبك دون إذنه السيادي. لا الآن، ولا في أي زمان. هو ترسك الشخصي (تكوين ١٥:١). ولكن إن أصابك سهمٌ ملتهب من العدو، فلا تخف. اهدأ، لأن الله الذي سمح له بالمرور من خلال أمانه

السيادي يعمل الآن لصالحك. لا شيء يفلت من علمه أو يخرج عن سيطرته. لذلك، لا داعي للانهيار أو الهلع أو الغرق في الشفقة على الذات عند مجيء الألم. بل استمع إلى كلماته العذبة، الحلوة المذاق والمليئة بالتعزية:

"طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكّى ينال إكليل الحياة" أو كما يعبّر النص هنا" "سعادة للإنسان الذي يثابر تحت الظروف الصعبة، لأنه بعد أن يجتاز الاختبار الروحي سينال بركات فائقة في الزمان الحاضر."

الحياة الأبدية التي وعد بها الربّ الذين يحبّونه أي الذين نالوا القدرة الروحية على المحبة من خلال تعلّم كلمته وتطبيقها (يعقوب ١:١٢).

"ونحن نعلم أن الله يعمل على أن تكون كل الأمور (السارة وغير السارة) معًا للخير للذين يحبّون الله، الذين هم مدعوّون حسب قصده" (رومية ٨:٢٨).

الله يعلم تمامًا ما يفعله في حياتك، وحتى إن لم تستطع إدراك كل أبعاده، فهناك حقيقة واضحة تمامًا: لا وجود لشيء اسمه حظّ سيئ أو مصادفات عشوائية. إنْ وثقنا بالله، فإنه يمزج ما يبدو شرًّا بما هو خير ليُخرج نتائج مدهشة! لذلك علينا أن نواجه المواقف الصعبة بنظرة انتظار للخير الذي سيتبعها فهكذا هو إلهنا العظيم!

"بل كما تشتركون في آلام المسيح، افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضًا مبتهجين" (بطرس الأولى ٤:١٣).

"افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضًا: افرحوا" (فيلبي ٤:٤).

علينا أن نفرح في كل حدثٍ من حياتنا، سواء كان مفرحًا أو مؤلمًا، لأنّ أبانا السماوي يعمل لأجلنا بلا انقطاع أربعًا وعشرين ساعة في اليوم، سبعة أيام في الأسبوع، وثلاثمئة وخمسة وستين يومًا في السنة!

لتكن ثقة أيوب بالله هي ثقتك أنت أيضًا. فقد كانت هذه الثقة نفسها لدى يوسف حين سلك طريق العبودية القاسية نحو مصر:
"لكنه يعلم طريقي، إذا امتحنني أخرج كالذهب" (أيوب ١٠:٢٣).

"أشدّدك، وأعينك، وأعضدك بيميني البارّة" (إشعياء ١٠:٤١).

الفصل الثالث

يوسف في الجبّ

تظهر آثار أقدام الله واضحة على الطريق أمام يوسف، إذ حوّل كل مأزقٍ وكل هجومٍ عليه إلى ما انتهى به الأمر ليكون أفضل ما يمكن تصوّره. وهكذا نقف مبهورين بإجلال أمام عظمة أبينا السماوي! لقد كانت أمانته الإلهية جليّة منذ اللحظة التي بدأ فيها إخوة يوسف يحيكون مؤامرتهم لقتله، مرورًا ببيعه عبدًا، ثم في سلسلة الأحداث الصعبة التي قادته إلى السجن في مصر.

كانت الغيرة والحسد تتأججان في نفوس الإخوة حتى تحوّلا إلى لا عقلانية وقسوة قلوب. إن خطايا التفكير الشرير أزالت من أذهانهم كل ما كانوا يعرفونه من كلمة الله، ونتيجةً لذلك، امتلأت عقولهم بمنظورٍ بشريٍّ فاسد من خلال الطبيعة الخاطئة القديمة. وفي تفكيرهم المنحرف، أقنعوا أنفسهم بأنّ هذه فرصتهم الوحيدة للتخلّص من أخيهم الأصغر.

تذكّر أنّ خطّتهم الشريرة بدأت بفكرة، بالكراهية نحو يوسف. ولهذا يحذّر الله المؤمنين من أفكارهم، لأنّ الفكرة تتحوّل إلى فعل:
"لأنه كما يفكر في نفسه، هكذا هو" (أمثال ٢٣:٧).

يبدو أن الإخوة خافوا أن تتحقق أحلام يوسف، ولكن في طموحهم الممزوج بالغرور، لم يستطيعوا تخيّل أن يكون ليوسف سلطانٌ عليهم. لذلك سعوا لإفشال أحلامه، وكأنهم قادرون على تغيير خطة الله!

غير أنّ هؤلاء الإخوة الماكرين لم يعلموا أن الله قد أعدّ مسبقًا حلاً بالنعمة. فقد وضع أخاهم رأوبين في المكان المناسب وفي الوقت المناسب ولم تكن تلك مصادفة. استخدم الله رأوبين ليمنع تنفيذ خطة القتل الشنيعة ضد يوسف. ومع ذلك، سمح الله للشر أن يأخذ مجراه، لأن إيقافه بالقوة كان سيشكّل انتهاكًا لمبدأ حرية الإرادة عند الإنسان، وتعارضًا مع جوهر عدله الإلهي. ولو تدخّل الله لإجبار الإخوة على فعل الصواب، لكانت تهمة الشيطان بأنّ الله ظالم قد بدت مبرَّرة.

توجّه يوسف القائم على النعمة

الهدف الرئيسي من هذا الدرس هو التأمل في توجّه يوسف القائم على النعمة، ومعرفة أن إله يوسف هو أيضًا إلهنا، وأنه معنا دائمًا في كل ظرفٍ من ظروف الحياة. قبل خلق الإنسان، كان

الله قد حدّد الطريقة الدقيقة التي سيحوّل بها معاناتك إلى بركة، تمامًا كما فعل مع يوسف. ولكن انتبه، فهذه البركات ليست للجميع، بل هي لمن يحبّون الله الذين يسيرون بثبات نحو النضوج الروحي وإلى أقصى تمجيدٍ لله. الكتاب المقدّس واضحٌ تمامًا في هذا الأمر:

"ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوّون حسب قصده" (رومية ٨:٢٨).

ولا يمكننا أن نحبّ الله إلا إذا عرفناه، ولا يمكننا أن نعرفه إلا من خلال الدراسة اليومية الجادّة لكلمته، تحت تعليم راعٍ أو معلّمٍ روحي مؤهّل. وقد يكون ذلك من خلال التعليم المباشر، أو مراجعة الملاحظات، أو قراءة الكتب، أو الاستماع إلى الدروس المسجَّلة. علينا أن نتعلّم وصايا الله، لأننا لا نحبّه حقًّا إلا عندما نطيعه في كل شيء.

من منظورٍ بشري، لم يكن ممكنًا ليوسف أن ينال سلطةً على عائلته (بحسب ترتيب ولادته)، لكن هذا بالضبط كان ضمن خطة الله له. وربما تساءل يوسف: «لماذا أنا؟». وهذا سؤالٌ مهم في حياة المؤمن، حين يُطرح بتواضع. فلو كان يوسف هو البكر، لما كانت وعود الله له بالسلطان أمرًا غير عادي. لكن أن يكون الابن الحادي عشر؟ هذا لم يُسمع به من قبل! وربما كان هذا بالذات أساس توجّه يوسف القائم على النعمة.

وسؤالي هو: من بين جميع البشر في العالم، لماذا أنت موضوع نعمة الله؟ ولماذا أنا؟ لقد طرح الملك داود السؤال نفسه قائلًا:
"ما الإنسان حتى تذكره، وابن الإنسان حتى تفتقده؟" (مزمور ٨:٤).

وقال الرسول يوحنا:
"انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله!" (١ يوحنا ٣:١).

في أعماق نفسك، هل تدرك نعمة الله بالنسبة لمن أنت وأين أنت الآن؟
قد تقول لي: "يا موسيس، لقد عملت بجد طوال حياتي لأحقق هذا النجاح."
حقًا؟ ومن الذي أعطاك القدرة على التحمل، والذكاء، والمواهب التي مكّنتك من السعي نحو النجاح؟ أو ربما تقول: "لقد وُلدت عبقريًا؛ وهذا هو سر نجاحي." صحيح، وُلدت عبقريًا، لكن تلك الجينات الجيدة كانت هبة من الله. هل تدرك أن آلاف العباقرة في مستشفيات العالم يعانون من السرطان وأمراض خطيرة أخرى مثل أي إنسان آخر؟ أعطني سببًا واحدًا مقنعًا لِمَ لستَ واحدًا من أولئك العباقرة الملازمين للفراش.

الخلاصة: أنت ما أنت عليه فقط بنعمة الله لا أكثر ولا أقل. وما لم تُرسِّخ هذه الحقيقة في أعماق نفسك، فلست بعدُ متجهًا نحو النعمة. إدراك يوسف لهذه الحقيقة كان نقطة التحوّل في تكوين هل هو خلاصك العظيم؟ أم إنقاذات الله لك في كل ظرف عسير؟ أم إدراكك توجهه الي النعمة. أن الآب والابن والروح القدس يسكنون في جسدك الفاني؟ ما هو محفّزك؟

مؤامرة قتل يوسف

كان يوسف ابنًا متواضعًا ومطيعًا، خاضعًا بحرية لسلطان أبيه.

"ثم مضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم في شكيم. فقال إسرائيل [يعقوب] ليوسف: أليس إخوتك يرعون الغنم في شكيم؟ تعال فأرسلك إليهم. فقال له: هأنذا." (تكوين ٣٧: ١٢–١٣).
فانطلق يوسف من وادي حبرون باحثًا عن إخوته، وهو لا يعلم أين سيجدهم بالضبط.
ذهب إلى شكيم، وبعد أن جاب المكان دون أن يعثر عليهم، تدخّل الله.

"فوجده رجل وإذا هو تائه في الحقل، فسأله الرجل قائلًا: ماذا تطلب؟ فقال: أنا طالب إخوتي. أخبرني أين يرعون. فقال الرجل: قد ارتحلوا من هنا، لأني سمعتهم يقولون: لنذهب إلى دوثان فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم في دوثان." (تكوين ٣٧: ١٥–١٧).
هل التقى يوسف بذلك الرجل صدفةً ليسأله عن مكان إخوته؟ كلا، فالله كان يعمل في الخفاء، يجعل «كل الأشياء تعمل معًا للخير» بحسب مقصده في حياة يوسف. فلا وجود للصدف في خطة الله!

"ولما رأوه من بعيد، وقبل أن يقترب منهم، تآمروا عليه ليقتلوه. وقال بعضهم لبعض: ها هو ذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلم فنقتله ونطرحه في إحدى الآبار، ونقول إن وحشًا مفترسًا قد أكله، فسنرى ماذا تكون أحلامه." (تكوين ٣٧: ١٨–٢٠).

يا له من حقد! لقد قرروا أن ينهوا أي احتمال لأن يتسلط يوسف عليهم. وقد قلت ذلك سابقًا في دراستنا، لكنه يستحق التكرار: هؤلاء المؤمنون الجسديون ظنوا خطأً أنهم يستطيعون إيقاف خطة الله في حياة يوسف. يا له من تفكير باطل! فلا إنسان، ولا ظرف، ولا هجوم من إبليس، ولا أي نوع من القوة أو السلاح يمكنه أن يعطل خطة الله لحياتك. وهذا ما كان ينطبق على يوسف، وكان يعرف ذلك. لكن السؤال هو: هل تعرفه أنت؟

لقد سمح الله لإخوة يوسف أن يبدأوا سلسلة من الأحداث التي ستؤدي في النهاية إلى تحقيق وعده له. وسوف يظهر قريبًا أن الله يستخدم حتى غضب الإنسان لمجده، كما يقول الكتاب في

المزمور السادس والسبعين. كان هدف إخوة يوسف واحدًا، وهو التخلص من أخيهم الصغير واتفقوا جميعًا على قتله إلا رأوبين، الأخ الأكبر، الذي اقترح أن يطرحوه في بئر بدلًا من أن يقتلوه.

"فلما سمع رأوبين أنقذه من أيديهم وقال: لا نقتل نفسًا. وقال لهم رأوبين: لا تسفكوا دمًا، اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا إليه يدًا، لكي ينقذه من أيديهم ويعيده إلى أبيه." (تكوين ٣٧: ٢١–٢٢).

نحن أمام سلسلة من الأحداث المؤلمة التي سيحوّلها الله إلى وسيلة لرفع يوسف، ولتنمية قوته الروحية وقدرته على الحياة والاحتمال ونيل البركة، من خلال أتون التجارب والاختبارات.

يوسف وإلهه الأمين

"ولما وصل يوسف إلى إخوته، خلعوا عنه قميصه الملون الذي كان عليه، وأخذوه وطرحوه في البئر. وكانت البئر فارغة ليس فيها ماء." (تكوين ٣٧: ٢٣–٢٤).

لو كان في البئر ماء، لغرق يوسف. ولكن، هل كان سيغرق فعلًا؟ تذكّر أن الله كان حاضرًا في البئر قبل أن يصل يوسف إلى قاعها. أمر مدهش، أليس كذلك؟ ما أعظم التعزية في معرفة أن الله موجود في طرفي معاناتنا، وفي كل ما بينها.

ثم حدث ما يبعث على القشعريرة:
"ثم جلسوا ليأكلوا طعامًا." (تكوين ٣٧: ٢٥).

بكل برود، جلسوا مرتاحين يأكلون، وربما تبادلوا النكات وهم يشعرون بالدهاء لأنهم تخلّصوا من "عدوهم" الوهمي، يوسف. ورغم جريمتهم الفادحة ضد أخيهم، لم يختنق أحدهم بطعامه أو شرابه. مرة أخرى، تتجلى نعمة الله. فهؤلاء لم يكونوا يستحقون الحياة، ومع ذلك استمروا في الأكل والشرب والضحك. قد تتساءل: كيف تجرأوا أن يجلسوا ليأكلوا بينما أخوهم، الذي جاءهم بالطعام، في قاع بئر عميقة؟ ما الذي حدث لضمائرهم؟ كل واحد منهم، ما عدا رأوبين وربما يهوذا، كان ذا ضمير فاسد. لقد ماتت حياتهم الروحية، وامتلأت نفوسهم بالشر. تصرفهم الشنيع هذا يُظهر صورة المؤمن الذي يرفض أن يملأ ذهنه بمعرفة كلمة الله، فيترك المجال للفكر البشري والشر أن يتسلل إلى تفكيره ثم ينعكس في سلوكه.

المغزى هو أنك، كمؤمن، إذا رفضت أن تطبق كلمة الله باستمرار في حياتك، فستصل عاجلاً أو آجلاً إلى ضمير فاسد. وفي هذه الحالة، لا يوجد شر تحت السماء لا يمكن أن تفعله. وداود الملك مثال واضح على ذلك؛ فقد ارتكب الزنا والقتل. قد تقول: "لكنه لم يقتل بيده.." لكن حكم الله عليه يوضح الحقيقة:

"لماذا احتقرتَ كلام الرب وفعلت الشر في عينيه؟"
"قد قتلتَ أوريا الحثي بالسيف، وأخذت امرأته لتكون لك امرأة، وذبحته بسيف بني عمون" (صموئيل الثاني ١٢: ٩).

إنها تهمة خطيرة ونحن نتحدث عن واحد من أعظم المؤمنين الذين عاشوا على الإطلاق، الرجل الذي قيل عنه إنه "بحسب قلب الله" (صموئيل الأول ١٣: ١٤).

اسمح لي أن أكون واضحًا في هذا الأمر: عندما تتهاون في حياتك الروحية، تكون قادرًا على ارتكاب كل أنواع الشرور البغيضة. فنحن جميعًا تحت رحمة إغراء طبيعتنا الخاطئة القديمة عندما نأخذ استراحة من حياتنا الروحية. هذا الانحراف الروحي لا ينبغي أن يوجد، لكنه للأسف موجود. وهنا تتبادر إلى الذهن كلمات يعقوب:

"من أين الحروب والخصومات بينكم أيها المؤمنون؟ أليست من لذّاتكم المحاربة في أعضائكم؟ تشتهون ولستم تمتلكون، فتقتلون." (يعقوب ٤: ١–٢).

عندما يعتاد المؤمن على تلقي كلمة الله يوميًا، كما فعل إخوة يوسف في رعاية يعقوب، لكنه يهمل تطبيقها، فإن دراسته للحق الروحي تتحول مع الوقت إلى طقس بلا مضمون. وبدلًا من النمو الروحي، ينزلق هذا المؤمن إلى حالة من الجسدية الدائمة، فيصبح أداة لكل أنواع الأفعال الشريرة. من الخارج قد يبدو روحيًا، لكن داخله مستنقع نتن مليء بأفكار بشرية فاسدة.

من المؤسف أن ملايين المؤمنين يظنون أن الحياة الروحية تعني مجرد حضور الكنيسة لسماع كلمة الله. قد يحرصون على حضور دروس الكتاب المقدس بانتظام، وهذا جانب ضروري من الحياة الروحية، لكن إن أهمل المؤمن الجانب الآخر (أي تطبيق ما يتعلمه) فإنه من حيث لا يدري يتحول إلى قنبلة موقوتة مهيأة للانفجار في وجه الخطية والشر.

تذكّر أن التطبيق لا يعني "فعل أشياء لأجل الله"، بل "التفكير بأفكار الله في كل موقف". أي ألا نشعر حتى بأقل ارتجاف من القلق، حتى في أشد المواقف كارثية. فعندما نواجه الصعوبات بثقة وفرح وشكر، عندها فقط نكون نمارس المعيار الذهبي للحياة الروحية.

والآن، لنعد إلى يوسف في البئر.

"رفع إخوته أعينهم، وإذا بقافلة من الإسماعيليين مقبلة من جلعاد، وجمالهم حاملة أطيابًا وبلسمًا ومرًّا في طريقها إلى مصر. فقال يهوذا، سليل النسل البشري للرب، لإخوته: ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه؟ تعالوا نبيعه للإسماعيليين ولا نمد أيدينا إليه، لأنه أخونا، لحمنا. فسمع له إخوته. ثم أخذوا قميص يوسف، وذبحوا تيسًا من المعزى، وغمسوا القميص في الدم. وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم وقالوا: وجدنا هذا، فتعرف هل هو قميص ابنك أم لا؟ فتعرف عليه وقال: هو قميص ابني، قد افترسه وحش رديّ، افترس يوسف افتراسًا." (تكوين ٣٧: ٢٥–٢٧، ٣١–٣٣)

لقد خدع الإخوة يعقوب خداعًا مباشرًا. وكان قد مر نحو أربعين عامًا منذ أن خدع يعقوب أباه إسحاق لينال البركة التي تخص عيسو أخاه، وها هو لا يزال يجني ثمار خداعه القديم وهكذا نتذكر من جديد أن الله دائمًا يفي بكلمته:

"لا تضلّوا، الله لا يُشمخ عليه، لأن الذي يزرعه الإنسان، إياه يحصد أيضًا." (غلاطية ٦: ٧).

رحلة يوسف الشاقة كعبد

"مر بعض التجار المديانيين، فانتشلوا يوسف من البئر، وباعوه للإسماعيليين بعشرين من الفضة، فجاءوا بيوسف إلى مصر." (تكوين ٣٧: ٢٨).

ومنذ تلك اللحظة، كان يوسف قد صعد إلى قطار النعمة في طريق الألم، وجهته: الرفعة والكرامة. يمكننا فقط أن نتخيل ما كان يدور في ذهن يوسف وهو مقيد بالأغلال، يسير من دوثان إلى مصر. معظم الناس كانوا سيشكون من ظلم القدر، ويلومون الله في مرارة النفس، لكن موقف يوسف الذهني عندما وصل إلى مصر يبرهن أنه لم يفعل ذلك. فبدلاً من أن ينشغل بالمحنة التي وقع فيها، ركز فكره على خطة الله لحياته. وربما تأمل في أحد الدروس التي تعلمها من أبيه عن أمانة الله.

"وها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردّك إلى هذه الأرض، لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به." (تكوين ٢٨: ١٥).

كيف نعلم أن يوسف نظر إلى ما وراء ظرفه الحالي؟ الكتاب المقدس هو مصدر الحقيقة الذي يكشف عن فكره المملوء بالنعمة:

"وقال يوسف لإخوته: أنا سأموت، ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف بها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب. واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً: الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا." (تكوين ٥٠: ٢٤–٢٥).

لقد نظر يوسف إلى ما وراء ظروف العبودية في مصر. وأنت أيضًا، ينبغي أن تنظر إلى ما وراء آلامك. كان يوسف يعلم أن لله خطة نعمة لحياته، وأن الله هو المسيطر، وأنه في الوقت المناسب سيجعل كل الأمور تعمل لخيرِه النهائي. وهذا اليقين هو سمة كل مؤمن ناضج في إيمانه.

مبادئ:

- الله، القادر على كل شيء، يضمن أن لا تسقط كلماته أو وعوده على الأرض دون أن تتم والوعد يعتمد على أمانة من يقدمه، وبما أن أمانة الله كاملة وهي عماد كيانه، يمكننا أن نكون على ثقة تامة أن كل ما وعد به سيتم بالكامل.

- لا ظرف في الوجود يمكن أن يقيّد الله، لأنه خارج حدود الزمان والمكان، وهو المتحكم في كل شيء. لقد علم الله منذ الأزل كل ظرف سيستخدمه ليحقق خطته في حياتك. وما يسميه العالم "مأساة" هو في الحقيقة وسيلة يستخدمها الله لإتمام مقاصده بعيدة المدى. وتجربة يوسف كعبد لم تكن استثناء، بل كانت مثالًا كاملًا لذلك.

- الله يراقب أدق التفاصيل في كل ما يحدث.

- الله يسيطر على حاضرك ومستقبلك، ناسجًا الأحداث المؤلمة والمفرحة معًا في لوحة رائعة من النتائج الكاملة.

- خطط الله وأساليبه تفوق إدراك عقولنا المحدودة.

نحن لا نستطيع أن ندرك بعقولنا المحدودة إلهًا يقف صامتًا بينما الأشرار يتآمرون على موت ابنه، ثم يُقبض عليه ويُدان ويُسمّر على الصليب. ولا إلهًا يقف صامتًا بينما يُلقى يوسف في البئر ويُباع عبدًا للإسماعيليين. ولا إلهًا يبدو وكأنه يقف متفرجًا بينما حياتك تنقلب رأسًا على عقب. ولذلك قال الرب لإشعياء:

"لأن أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقي، يقول الرب. لأنه كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقي عن طرقكم، وأفكاري عن أفكارك. وكما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعًا للزارع وخبزًا للآكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إليّ فارغة، بل تعمل ما سررتُ به وتنجح فيما أرسلتها له." (إشعياء ٥٥: ٨–١١).

هذه الكلمات يجب أن تزرع في داخلك أساسًا راسخًا من الثقة في أمانة الله. فهو قال:

"من يؤمن به لا يُخزى." (رومية ٩: ٣٣).

إذًا الخلاصة هي أنه إن كنت مؤمنًا بالرب يسوع المسيح وتسير نحو النضج الروحي، فمهما بدا وضعك مظلمًا أو يائسًا، انظر إلى ما وراءه، وانظر إلى النور الذي يرشد خطواتك.

"قد يدوم البكاء طوال الليل، ولكن الفرح يأتي في الصباح." (مزمور ٣٠:٥).

علينا أن نحفر في أعماق نفوسنا هذه الحقيقة الثابتة: أمانة الله لكلمته أعظم من أي مأزق نواجهه. فهو يطمئننا بقوله: "إني أعينك" (إشعياء ٤١:١٠)، ولن يعجز أو يتردد في ذلك.

إن الله، بنعمته الفائقة التي لا تُقاس، وحده القادر على تحويل كل مأساة إلى بركة عظيمة أعظم بكثير مما يمكن أن نتخيله. وهذا ما يفسر كيف استطاع الإله الكلي الحكمة والقدرة أن يقف متفرجًا بينما أبرم إخوة يوسف صفقة بيعهم لأخيهم عبدًا للإسماعيليين، لأنه كان يعلم أنه سيحول الموقف إلى خير عظيم وبركات تفوق الوصف.

إذن يا صديقي، إن كنت تدرك حقًا إله الكتاب المقدس، فلن يبقى في نفسك مكان للشفقة على الذات، بل ينبغي أن تشكر الآب بفرح على كل ظرف مؤلم، لأنه يعمل لأجلك في كل لحظة ليلًا ونهارًا، وبذلك تتمم وصية الله:

"اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم"
(تسالونيكي الأولى ٥:١٨).

منذ الأزل، حدد الله كل مأساة قد تمر بها، ليحولها في النهاية إلى جزء من إرادته الصالحة:
"ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله." (رومية ٨:٢٨).

يوسف عبد لدى فوطيفار

"أُخذ يوسف إلى مصر، فاشتراه فوطيفار، أحد ضباط فرعون ورئيس حرسه، من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك. وكان الرب مع يوسف، فكان رجلًا ناجحًا، وكان في بيت سيده المصري." (تكوين ٣٩:١-٢).

من منظور البشر، كان لدى يوسف من الأسباب ما يكفي ليكون مر النفس ناقمًا على الجميع، حتى على الله نفسه. فمن الطبيعي أن يتذمر ويشكو من الظلم. لكن يوسف لم يظهر شيئًا من ذلك، بل ظل هادئًا ومتماسكًا رغم ما كان يمر به من ضيق. لقد استخدم حقائق الإيمان التي امتلأت بها روحه، وكان يدرك تمام الإدراك أن الله عالم بكل ما يجري له، ومع هذا اليقين الراسخ، سكن السلام في قلبه.

عندما تجد نفسك في وضعٍ صعب لم يكن نتيجة خطأ منك، ماذا تفعل؟ إذا فُتِحت أبواب الجحيم عليك اليوم، كيف ستتعامل مع الأمر؟ تخيّل أنك فُصلت من عملك، أو أصبحت ضحية ظلمٍ فادح وتخلى عنك أصدقاؤك، أو فقدت كل ما تملك، أو مات شخص عزيز عليك، أو ربما اجتمعت كل هذه المصائب في وقتٍ واحد! ما الأفكار التي ستجتاح ذهنك في تلك اللحظة؟

إن قدرتك على التعامل مع الإحباطات والمضايقات اليومية البسيطة تعكس مستوى نضجك الروحي، وتحدد طريقة تفكيرك وتصرفاتك في أوقات الضغط الشديد. هذا المفهوم يُبطل الفكرة الشائعة بأن الله يقيس الحياة الروحية بعدد السنوات التي يقضيها المؤمن في سماع التعليم الكتابي. الحقيقة أن المقياس الوحيد للحياة الروحية هو مدى قدرتك على تطبيق كلمة الله في تفكيرك وأنت تحت الضغط. ينبغي لنا أن نكون مثل يوسف، الذي كان هادئًا وراضيًا بكونه عبدًا في بيت سيده—وسيده كان يعبد الأوثان! يخبرنا الكتاب في تكوين ٣٩:٢ أن الرب كان مع يوسف، وهي فكرة تتكرر في جميع أنحاء الكتاب المقدس: الرب دائمًا معنا. وقد عرف يوسف هذه الحقيقة رغم أنه لم يكن يمتلك أي صفحة من الكتاب المقدس! لقد تعلم كل الحقائق التي ساندته من أبيه وجده.

وأحيانًا أتساءل: أين كان سيصل يوسف روحيًا لو عاش في عصر الكنيسة الحالي، حيث أعلن الله لنا كل ما نحتاج أن نعرفه؟ (أفسس ٣:١) لن نعرف ذلك، لكن المسيح يسوع سيكشف في كرسي القضاء الخاص به مدى نجاحنا أو فشلنا الروحي أمام الجميع. حينها ستحترق أفكارنا البشرية، بينما يبقى ما تأسس على فكر الله كذهبٍ وفضةٍ وحجارةٍ كريمة.

إن قول الكتاب: "وكان الرب مع يوسف" يُعبّر عن نعمة الله نحوه. وهذه العبارة تتكرر في مواضع كثيرة من الكتاب المقدس. يقول الله في إشعياء ٤١:١٠: "أنا معك... إني أعضدك بيمين بري", وفي أخبار الأيام الثاني ١٦:٩: "لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه"، وفي متى ٢٨:٢٠: "ها أنا معكم كل الأيام".

هذه العبارات تُسمى بلغة التنازل الإلهي، أي الطريقة التي يستخدمها الروح القدس ليشرح معاملات الله مع الإنسان بلغة يمكننا استيعابها. وهي تتضمن العديد من الحقائق العقائدية العميقة:

١- **الحماية:** كان لدى يوسف ملائكة حارسة ترافقه على مدار الساعة. وقد كتب المرنم "لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك" (مزمور ٩١: ١١-١٢؛ انظر أيضًا عبرانيين ١٤:١).

نحن بأنفسنا شهادة حية على أمانة الله في حمايته لنا. شخصيًا، مررت بثماني حوادث خطيرة، آخرها اصطدام مباشر مع سائقٍ مخمور. وفي أكثر من مرة كنت وجهًا لوجه مع الموت، ومع ذلك أنقذني الله في كل مرة. أي نعمة أعظم من هذه! أي حماية أعمق من وجود ملائكة ترعانا دون أن نراها! ومع ذلك، فإن المرات التي نُدرك فيها تدخل الله لإنقاذنا ليست سوى جزء ضئيل من العدد الحقيقي للمواقف التي حفظنا فيها آمنين.

٢- **الإعالة:** وفّر الله ليوسف احتياجاته اليومية. ومن المؤكد أن يعقوب علّم يوسف عن إبراهيم، الذي طمأن ابنه المرتبك إسحاق قائلاً: "الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني" (تكوين ٢٢:٨)، وبالفعل دبّر الله الذبيحة، وعاد الاثنان سالمين من الجبل. وقد أكد الملك داود أمانة الله بقوله:
"كنت فتى وقد شخت، ولم أرَ صدّيقًا تُخلي عنه ولا ذرّيته تلتمس خبزًا" (مزمور ٣٧:٢٥).

أما الرسول بولس فقد عبّر عن هذه الحقيقة بأجمل أسلوب حين قال:
"الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء؟" (رومية ٨:٣٢).

وأحب أن أشرح هذا المفهوم بهذا المثال: لو أن شخصًا قدّم لك مئة قالب من الذهب الخالص تساوي ملايين الدولارات دون مقابل، فهل يصعب عليه أيضًا أن يوفر لك عربة صغيرة لتحملها؟ لقد فعل الله الأعظم حين قدّم ابنه الوحيد ذبيحة لأجلنا، فكم بالحري يكون تدبيره لاحتياجاتنا اليومية أمرًا بسيطًا في عينيه! وهذا ما يذكّرنا به الرب نفسه دائمًا.

"تأملوا الغربان، فإنها لا تزرع ولا تحصد، وليس لها مخزن ولا مخزن حبوب، ومع ذلك الله يقيتها. فكم أنتم بالحري أفضل من الطيور، لأنكم تملكون برّ الله والحياة الأبدية" (لوقا ١٢:٢٤).

المبدأ هنا هو أنه ما دامت خطة الله الإلهية لحياتك لا تزال جارية، أي ما دمت حيًّا، فإن الله ملتزم أن يوفّر لك كل ما تحتاج إليه لتخدمه. ومع ذلك، قد لا يمنحك ما تريده لتحقيق أهدافك الشخصية، لأن انشغالك بأجندتك الخاصة يبعدك عن مسار خطته.

أما فيما يتعلق باحتياجاتك اليومية، فاستمع إلى كلمة الله:
"لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون أو بما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون" (متى ٦:٢٥).
قد يؤخّر الله توفير بعض الاحتياجات ليقوّي نمونا الروحي، لكنه في الوقت المناسب يقدّم ما يلزم تمامًا.

٣- الإشراف: كان الله يراقب شؤون يوسف اليومية باستمرار، ضامنًا أن كل موقف ظالم يتحوّل في النهاية إلى بركة، لأن يوسف كان يعرف وصايا الله ويطيعها. والله لا يقلّ حرصًا في عنايته بك، فهو لا يغفل عنك لحظة واحدة، أبدًا (عبرانيين ١٣:٥).

٤- الإرشاد: كان الله يرشد يوسف في كل ما يقوم به ليُظهر مجده هو وحده. في الواقع، كانت إنجازات يوسف سببًا في تمجيد الله وحده. وهكذا يرشدك الله أيضًا ما دامت نفسك غير مشغولة بتفاصيل هذه الحياة المادية وبما يراه العالم مهمًا أو ضروريًا. وقد وعد الله في كلمته أن يرشدك دائمًا:
"لأن هذا الله هو إلهنا إلى الدهر والأبد، هو يهدينا إلى الموت" (مزمور ٤٨:١٤).
"أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها، أنصحك، عيني عليك" (مزمور ٣٢:٨).

٥- النجاح: نقرأ في تكوين ٣٩:٢-٣ ما يلي، وكان الرب مع يوسف، فصار رجلًا ناجحًا، وكان في بيت سيده المصري. ورأى سيده أن الرب معه، وأن كل ما كان يصنعه بيده كان الرب ينجحه.

الله هو مصدر النجاح الحقيقي والدائم في الحياة. طبيعة نجاحك ستثير دهشة الجميع، مؤمنين وغير مؤمنين، لأن الله نفسه هو من يصنع هذا النجاح الذي يبدو مستحيلًا في نظر البشر.

٦- تحقيق قصد الله في حياتك: لا يمكن لأي شيء أن يُنهي حياتك قبل أن تكتمل خطة الله لك تمامًا. فالمشقة لا تفعل سوى أن تقوّيك، ودموع الحزن لا تفعل سوى أن تروي حياتك،

والمعاناة بكل قسوتها لا تفعل سوى أن تمنحك القدرة على التمتع بما سيمنحك الله من بركات لاحقًا. ولهذا نقرأ قوله:

"وها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض، لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به" (تكوين ٢٨:١٥).

الفصل الخامس

أمانة الله تجاه أولاده

مهما كانت ظروفك، فإن الله لن يحول نظره عنك أبدًا، حتى وإن رغبت أنت في ذلك. تلك هي روعة نعمته العجيبة. فعندما تتسلح بمعرفة أن الإله الكلي الحكمة، القادر على كل شيء، هو قائد رحلتك الروحية، تصبح عبارة "الله يعلم ما يفعل" شعارك الدائم. قد ينظر غير المؤمن أو المؤمن الجسدي إلى معاناة يوسف ويستنتج أن الله قد نسيه، ولكن يوسف نفسه كان على وعي راسخ بالحضور الدائم لله حتى في عبوديته. ليست هناك فرصة واحدة في المليون أن يحول الله عينيه عنك، أبدًا. بل كان الله قد وضعك شخصيًا في فكره حين نطق بهذا الوعد العظيم:

"لن أهملك ولن أتركك" (الرسالة إلى العبرانيين ١٣:٥).

ونحن كمؤمنين في عصر الكنيسة نتمتع ببركات لم تُمنح لأي جيل آخر. لدينا كلمة الله المكتوبة، أي فكر المسيح، ولدينا امتلاء الروح القدس، وسكنى الثالوث في داخلنا، وامتياز الاقتراب إلى الله بالصلاة. فعندما نعترف بخطايانا لله الآب في خصوصية نفوسنا، نُعاد فورًا إلى شركة معه. ولسنا بحاجة لأن ندخر المال لشراء ذبائح عن الخطية، ولا أن نلتزم بقواعد معقدة عن الطهارة الجسدية أو الروحية. وهذه ليست إلا جزءًا يسيرًا من قائمة طويلة من النعمة. لا أستطيع أن أؤكد بما فيه الكفاية أن الله يتوقع منا أن نستخدم جميع وسائل نعمته في مواجهة كل مشكلة أو خيبة أمل أو كارثة يقذفها إلينا الشيطان.

وأحيانًا، تبدو ظروفنا وكأنها تغلبنا فتهرب ثقتنا من بين أيدينا، لكن إن تذكرنا أن نسلك بالإيمان لا بالعيان، نكون قد تعلمنا درسًا عميقًا. فبدون هذه الظروف الصعبة، ما كنا سنشعر بالحاجة إلى الالتجاء إلى أبينا السماوي. وبمعنى أعمق، أيامنا الأسوأ هي في حقيقتها أفضل أيامنا، إن تمسكنا به طالبين الخلاص والمعونة. فيما يخص وعود الله، فإننا نربح كل شيء، لأن "لا تزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (متى ١٨:٥).

لم تكن هذه الكلمات مكتوبة في زمن يوسف، ومع ذلك فقد أدرك المبدأ وطبّقه وانتصر على ظروفه. إن وعد الله بأنك "لن تُخزى أبدًا" ينبغي أن يعني لك أنه مهما مررت بظروف صعبة، حتى وإن بدا أن كل أمل قد تلاشى (كما بدا ليوسف حين أُلقي بين يدي إخوته) فإن الله لا يمكن ولن يخطئ في تنفيذ وعده بأن يكون معك. خذ نفسًا عميقًا، واهدأ، وذكّر نفسك أن وعد الله وصدقه سيسندانك حتى في أحلك الساعات. هذه الثقة هي نصيب الذين يحبون الله، أولئك الذين وصلوا أو يسيرون نحو القمة العليا لتمجيد الله بأقصى ما يمكن.

جدول الله الزمني

لقد جعل الرب كل ما يلمسه يوسف ينجح، إذ كان الرب معه، ومع ذلك بقي يوسف عبدًا في أرض غريبة، ولم يصبح بعدُ صاحب السلطان على أسرته كما وعده الله حين كان في السابعة عشرة من عمره (تكوين ٣٧:٢). علينا أن نفهم أن الله نادرًا ما يحدد جدولًا زمنيًا لوعوده.

القول المأثور "وقت الله هو أفضل الأوقات" صحيح، لكن كم مرة يدرك فكرنا هذه الحقيقة؟ فهو إله التوقيت الكامل. وأؤمن أن يوسف أدرك هذا المفهوم بعمق لأن يعقوب كان قد علّمه عن السنوات الطويلة التي مضت قبل أن يفي الله بوعده لإبراهيم ويسمح بولادة إسحق.

إن أبانا الكلي الحكمة لم يكن يومًا في عجلة من أمره في تنفيذ خطته، وينبغي لنا أن نسير على وتيرة خطواته، واثقين به، متبعين إياه خطوة بخطوة دون استعجال. قد تمر سنوات أو حتى عقود قبل أن يخطو خطوة جديدة، ومع ذلك ينبغي أن نصبر لأنه يعلم ما ينتظرنا في الطريق. فهو يعرف الشيء الصحيح الذي يجب أن يُفعل، والوقت الصحيح لفعله. تأمل ما جاء في سفر التكوين ٣:١٥ حين وعد بمخلّصٍ للعالم كله، وهو وعد لم يتحقق إلا بعد آلاف السنين.

"لأنه بينما كنا بعدُ ضعفاء، مات المسيح في الوقت المعيّن لأجل الفجّار" (رومية ٥:٦).

"ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس" (غلاطية ٤:٤).

تأمل حالة أخرى:
قال الرب لأبرام: "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة" (تكوين ١٢:١-٢).

قدّم الله هذا الوعد لإبراهيم وهو في الخامسة والسبعين من عمره، ولم يتمّمه إلا عندما بلغ المئة، أي بعد خمسٍ وعشرين سنة كاملة. ثم كرر الله هذا الوعد لإسحاق قائلًا:
"تغرّب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه الأراضي، وأقيم القسم الذي أقسمتُ لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه الأراضي، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض" (تكوين ٢٦:٣-٤).

كان إسحاق في الأربعين من عمره عندما تزوج رفقة، وهي من أقربائه في بلاد ما بين النهرين (تكوين ٢٤:١٠ و٢٥:٢٠). ولكن رفقة كانت عاقرًا. ومضت عشرون سنة أخرى قبل أن يضع الله بصمته التالية، فولد يعقوب (تكوين ٢٥:٢٦). نستطيع أن نكتب مجلدات عن توقيت الله، لكن

يكفي أن نقول إن ما يقارب أربعمائة وثلاثين عامًا مرّت قبل أن يصوغ الله الأمة التي وعد بها إبراهيم (غلاطية ٣:١٧).

الوليمة في مطعم الله

إن الله لا يعمل في مجال الوجبات السريعة، حيث تُقدَّم البركات عبر نافذة مرور في خمس عشرة ثانية لتكون الحياة خالية من الألم! الله ليس طاهيًا تحت الطلب نأمره بأن يحذف البصل من شطيرتنا! بل هو أشبه بشيفٍ ماهرٍ لا نظير له، يُعدّ مأكولات فاخرة توافق ذوق أي متذوّقٍ مميز. نحن الذين تناولنا الطعام في مطاعم راقية نعلم كم من الوقت يلزم لتقديم وجبة لذيذة، وهو بالتأكيد أطول بكثير مما يستغرقه إعداد شطيرة سريعة. وبالمثل، أخذ الله وقتًا لإعداد الترقية التي كشف عنها ليوسف الشاب في حلمين منفصلين.

لذا، يا صديقي، اجلس بهدوء واطمئنان بينما يعدّ لك الآب وجبتك ويقدّم لك بركاته. قد تجد في قائمة الطعام أمورًا شهية مثل ترقية في عملك، أو توفير فرصة عمل جديدة، أو شفاء أمراضك، أو زوجًا، أو زوجة يحبّانك ويحبّان الله. قد تتساءل: "إلى متى يجب أن أنتظر؟" إن طول فترة الانتظار من اختصاص الله وحده. فهو لا يعطينا إشارات مسبقة، ولكن هناك أمر مؤكد: سيتدخل في الوقت المناسب، لا أبكر مما ينبغي، ولا متأخرًا، بل تمامًا حين تنضج بركاتك إلى الكمال.

وربما تتساءل: "لماذا يتحرك الله القدير، السيد، الكلي القدرة، الذي يستطيع أن يفعل كل شيء في أي وقت وأي مكان، بهذه البُطء الظاهر حين يتعلّق الأمر بخططه لحياتنا أو باستجابته لصلواتنا؟" لقد طرح هذا السؤال كثيرٌ من المؤمنين في الكتاب المقدس.

"إلى متى يا رب أستغيث وأنت لا تسمع؟" (حبقوق ١:٢).

وسأل الملك داود:
"إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟" (مزمور ١٣:١).

ومن فم أيوب نسمع قوله:
"هأنذا أصرخ ظلمًا فلا أُستجاب، أستغيث وليس حكم. قد سيّج طريقي فلا أعبر، وعلى سبلي جعل ظلامًا" (أيوب ١٩:٧-٨).

تأمل في هؤلاء الأبطال في الكتاب المقدس، وهم رجال لهم نقائص مثلنا تمامًا. لقد نادوا الله طلبًا للمعونة الفورية، لكن ذلك لم يُسرّع خطته لحظة واحدة، بل زاد من معاناتهم الذاتية. ومن أعجب ما في توقيت الله أيضًا ما يبدو كاختفاءٍ للآب السماوي حين كان حمل الله الكامل، الإله الإنسان يسوع المسيح، يصرخ على صليب الجلجثة قائلاً:

"إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب، وفي الليل ولا راحة لي" (مزمور ٢٢:٢).

بالطبع، قد استجاب الله الآب لصرخة الرب يسوع، ولكن ليس قبل الوقت المعيَّن، بل بعد أن نال يسوع المسيح دينونة خطايانا. فإذا كان الله قد أبطأ في الاستجابة لصرخة الرب يسوع المسيح، الذي هو "بهاء مجده وصورة جوهره" (عبرانيين ١:٣)، فكيف نتوقّع نحن استجابة فورية وخاصة؟ إن لله أسبابًا كثيرة تؤدي إلى إبطاء برنامجه من أجلنا:

١- ينتظر حتى يُزيل كل العقبات التي قد تعيق نوالك للبركة.

٢- يختبر مستوى نضجك الروحي في أحلك فترات حياتك. فهل ستستمر في الثقة به وتسبيحه؟

٣- يريك أنه إله التدابير القصوى، إذ يتدخل حين يبدو أن كل أمل قد ضاع.

٤- ينتظر حتى تنمّي عضلاتك الروحية وسَعتك الداخلية من خلال التزوّد اليومي بكلمته وتطبيقها تحت كل ضغط (أعمال الرسل ٢٠:٣٢).

ينبغي لنا أن نتمسّك بكلمات إرميا القائل:
"لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم، يقول الرب، أفكار سلام لا شر، لأعطيكم آخرة ورجاء" (إرميا ٢٩:١١).

إن نعمة الله تقتضي أن يمنحك الأفضل، لذلك كن صبورًا حين يؤخّر عطاياه إلى أن يحين الوقت الكامل والمناسب.

الترقية الأولى ليوسف

لقد جاءت الترقية الأولى ليوسف، رغم عبوديته، فقط بعد أن اكتمل "زمن الطهي" الصحيح "ورأى سيده أن الرب معه، وأن كل ما يصنعه كان الرب ينجحه بيده، فوجد يوسف نعمة في عينيه وخدمه، فوكّله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له" (تكوين ٣٩:٣-٤).

يا لعناية الله العجيبة! يا لنعمة الله العميقة! إن الإله نفسه الذي حفظ يوسف ووجّه خطواته في رحلته الصعبة من الجبّ الخالي إلى العبودية في بيت فوطيفار، هو ذاته الإله الذي رفعه وباركه في تلك اللحظة المظلمة. نعم، لقد رفعه الله وكرّمه وهو ما يزال عبدًا، بل في أرضٍ غريبة أيضًا. ومن هذا الموقف تبرز ثلاث ملاحظات مهمة:

١- تحلّى يوسف بذهنٍ هادئ وموقفٍ متزن طوال تجاربه، لأنه كان ينظر إلى الله الذي لا يفشل أبدًا. لم يكن يعرف ما يخبئه له المستقبل، لكنه كان واثقًا في أمانة الله وقدرته على العناية به. فالإيمان في وجه الظروف التي تبدو مستحيلة هو كل ما يطلبه الله من أي إنسان.

٢- أسلوب يوسف الروحي في الحياة، المبني على الإيمان المطلق، كان شهادة حيّة عن الله لكل من حوله. كان الرسول بولس يفكر بنفس الطريقة حين كتب: "أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا، معروفة ومقروءة من جميع الناس" (٢ كورنثوس ٣:٢). ومن الواضح أن سيد يوسف قد أُعجب به، فجعله المشرف العام على شؤون بيته. وبالطبع، الله هو الذي حوّل اللعنة إلى بركة.

٣- وكما حدث مع يوسف، لا شيء يمكن أن يمنع الله من تحقيق خطته الكاملة في حياتك. فهو يستخدم كل ظرف، سواء كان خيرًا أو شرًا، ليقود خطته إلى كمالها المدهش.

إن البناء الفائق الذي أقامه يوسف على أساس النعمة كان بلا شك السبب في ترقيته التي لم يكن يستحقها بحسب المقاييس البشرية. فقد كان في أدنى مراتب العبودية، وكان من الطبيعي أن يُعامل بقسوة ويُجبر على العمل المتواصل في أعمال شاقة، ومع ذلك عاملَه فوطيفار بكرامة، وكأنه أحد أفراد الملوك. يا له من أمر مدهش!

توجّه النعمة

إن التوجّه إلى النعمة يتحقق من خلال التقدم الروحي الناتج عن تعلّم كلمة الله وتطبيقها في الحياة اليومية، وعندئذٍ تدرك الرداء الملوّن بالنعمة الذي ألبسك الله إياه على كتفيك. وفيما يلي خمسة عناصر أساسية لتصبح إنسانًا متوجّهًا نحو النعمة.

١- تعلّم كلمة الله:
الانغماس المستمر في كلمة الله هو الشرط الأساسي لتوجّه النعمة. فحين تواظب بثبات على التعرّض لتعليم كلمة الله، ستتشبّع أفكارك تدريجيًا بجوهره، وخطّته، ومبدأ نعمته. هذا الإدراك سيجعلك تواجه حقيقة أنك لا تستحق الذبيحة والمعاناة التي تحمّلها المسيح عنك. وستدرك أنك لولا نعمة الله لما امتلكت شيئًا ذا قيمة في حياتك.

٢- تطبيق كلمة الله:
التطبيق هو الوجه الآخر للتعلّم. فبدون تطبيق كلمة الله في حياتك اليومية، تصبح ذخيرة الحقائق العقائدية غير المستعملة في نفسك شاهدة ضدك عند كرسي تقييم المسيح. لا يمكنك أن تخوض المعركة الروحية الدائرة في داخلك إلا بالاتكال الكامل على القوة التي يمنحها لك

الله وحده من خلال كلمته. ومع المواظبة على تطبيق حقائق كلمة الله في أفكارك وتصرفاتك في كل ظرف، سيزداد نموك الروحي حتمًا.

٣- التقدّم الروحي:
مقدار توجّهك نحو النعمة يتوقف على موقعك في سلّم النمو الروحي. فلا أحد يصير متمركزًا في النعمة بين ليلة وضحاها؛ بل الأمر يحتاج إلى وقت ودراسة وجهد مستمر. وتدرك أنك تتقدّم روحيًا حين تصبح أكثر تسامحًا وصبرًا مع من لا يتّبع معاييرك، وحين تنظر إلى إخفاقاتك من خلال استجابة الله المملوءة نعمة تجاهك.

٤- الاختبار الشخصي:
كثيرًا ما يضيف إدراكك للطريقة التي أنقذك الله بها من مرارة التجارب في الحياة اساساتٍ جديدة إلى بناء النعمة في نفسك. لا أعلم عنك، لكن تاريخ حياتي مملوء بشتى أنواع الخبرات منها ما هو مفرح ومنها ما هو مؤلم وفي جميعها رأيت يد الله التي تعيلني ولطفه الدائم.

٥- التأمل في نعمة الله تجاهك:
حين تتجوّل في أروقة نفسك، متأملًا خبراتك الماضية وكيفية تعامل نعمة الله معها، تتشجّع لأن تعامل الآخرين بالنعمة ذاتها. ولا شك أن ثراء حق الله في نفس **جون نيوتن** ألهمه أن يكتب تلك الكلمات الخالدة:

نعمة عجيبة... ما أحلى صوتها،
أنقذت شقيًّا مثلي،
كنت ضالًا فاهتديت،
وكنت أعمى، فصرت أرى.

يمكننا أن نرى هذه العناصر وهي تُشكِّل تفكير يوسف المملوء بالنعمة. فقد تُرك في الجُب ليموت، لكن الله أنقذه. وبِيع عبدًا، لكن رُفِّع. وسُجن ظلمًا، لكن رُقيّ إلى مركز سلطة وقيادة. دعني أقول الأمر بهذه الطريقة: كل ما تواجهه في حياتك هو إما بتدبير الله أو بسماحه، وقد صُمّم لأجل خيرك العام ونضوجك الروحي. لكن عليك أن تُبقي عينيك الروحيتين مفتوحتين، حتى يتمكّن روح الله القدوس من إرشاد كل خطوة تخطوها.

نتعلّم من ترقية يوسف أن الله قادر أن يبارك أولاده حتى في أحلك الظروف وأقساها. فقد أظهر هذا المبدأ حين جعل يوسف يترقى وهو في حالة عبودية. صحيح أن يوسف أثبت أنه رجل عاقل وأمين وجدير بالثقة، لكن في النهاية، الله كان المصدر الحقيقي لكل ما ناله.

الفصل السادس

تجربة يوسف واختباره

الاختبار والتجربة ليسا أمرًا واحدًا. فالاختبار من عند الرب، أمّا التجربة فمصدرها الشيطان.
وقد ألقى كلٌّ من يعقوب وموسى الضوء على هذا الموضوع بقولهما:
"لا يقل أحد إذا جُرِّب: إني أُجرَّب من قِبَل الله، لأن الله غير مُجرَّب بالشرور، وهو لا يُجرِّب أحدًا" (يعقوب ١٣:١).
وقال الرب لبني إسرائيل: "هأنذا أُمطر لكم خبزًا من السماء، فيخرج الشعب ويلتقطون قِسطهم كل يوم، لأمتحنهم أيسلكون في شريعتي أم لا" (خروج ١٦:٤).

لقد بدأ كل من الاختبار والتجربة في جنة عدن. فالله غرس شجرة معرفة الخير والشر ليختبر طاعة آدم وحواء لسلطانه (تكوين ١٦:٢-١٧). وسرعان ما تبع الشيطان ذلك بتجربة عصيان أمر الله.

وهكذا حدث مع يوسف أيضًا. فقد اجتاز اختبار الذهن حين تُرك في الجُب ثم بيع عبدًا لفوطيفار في مصر. ومع هذا النجاح جاءت الترقية، ومع الترقية جاءت كمين الشيطانا لتجربة في أن يضع ثقته في إنسان بدلًا من الله.
نصيحة روحية: عندما تمرّ بفترة نجاح روحي كمؤمن بالرب يسوع المسيح، لا تفرح باستهتار، بل احرس نفسك جيدًا، لأن العدوّ يترصّد على مقربة، متأهبًا ليهاجم جانبًا آخر من جوانب ضعفك.

وجاء في الكتاب.
"وكان من حين أقامه على بيته وعلى كل ما كان له أن الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف، فكانت بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحقل" (تكوين ٣٩:٥).

إن بركات فوطيفار المادية تُجسّد مبدأ "البركة بالارتباط"، إذ عاش يوسف، رجل الله التقي، في بيته، ففاضت البركة على كل ما حوله بسببه.

لذلك، بارك الله فوطيفار، لأنه من خلال تلك البركات كان أيضًا يُبارك يوسف. وبالطريقة ذاتها، بارك الله أبا يوسف، يعقوب، وكذلك حموه المستقبلي لابان.
فقال له لابان: "لَيْتَني أَجدُ نِعمةً في عينيكَ. قد تفاءلتُ فباركني الرب بسببك" (تكوين ٢٧:٣٠).

يا له من عطاء يفوق الوصف "البركة بالارتباط"! إنها نعمة لا تُقاس!

يقول الكتاب:
"فترك كل ما كان له في يد يوسف، ولم يكن معه يعرف شيئًا إلا الخبز الذي كان يأكل. وكان يوسف جميل الصورة وحسن المنظر. وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت: اضطجع معي" (تكوين ٣٩:٦-٧).

لقد كان يوسف نموذج الرجل الذي تحلم به كل امرأة تقريبًا؛ وسيمًا، قوي البنية، ذكيًّا، متواضعًا، صاحب سلطة ومهابة. وها هي امرأة جميلة، زوجة فوطيفار، تعرض نفسها عليه وتدعوه إلى خطيئة الزنا! لقد قدّمت له فرصة لإشباع شهوته الشخصية وكأن مستقبله في خطة الله قد توقّف تمامًا. فهل سقط؟

"فأبى وقال لامرأة سيده: هوذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت، وكل ما له قد دفعه إلى يدي، ليس هو في هذا البيت أعظم مني، ولم يمسك عني شيئًا غيرك لأنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟" (تكوين ٣٩:٨-٩).

هنا نرى الأمر بوضوح، حياة يوسف الروحية بقيت صلبة راسخة. جوابه الحاسم في وجه هذه التجربة القوية يكشف لنا عن نفس ممتلئة بالنزاهة والطهارة. قد نظن أن هذا الانتصار الروحي سيجعل الشيطان يبتعد عنه لفترة، لكن الأمر لم يكن كذلك.

"وكان إذ كلّمت يوسف يومًا فيومًا أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها" (تكوين ٣٩:١٠).

يوسف قاوم الإغراء يومًا بعد يوم، بثبات روحي نابع من مخافة الله، لا من الخوف من الناس. تعبير "يومًا فيومًا" يسلّط الضوء على جوهر الحرب الروحية. فالمؤمنون الروحيون يعيشون تحت هجوم دائم من الشيطان والعالم والطبيعة الخاطئة الساكنة فيهم. ومع كل مقاومة من يوسف لكل تجربة، كانت الملائكة المختارة ترفع التحية له وتهتف بفرح لانتصاره. لقد كان الله قد أعدّ بالفعل الأرضية ليمرّ يوسف في "أتون النعمة" (أتون الألم والتجربة) الذي سيصقله ويرفعه إلى قمة الترقية والمجد التي أعدّها له.

الفصل السابع

يوسف في أتون نعمة الألم

إن التنقية في أتون الألم أمر لا مفرّ منها لكل مؤمن يتقدّم في النضوج الروحي. فالألم كان حتمياً بالنسبة لأيّوب (أيوب ١، قارن ٤٢: ١٢-١٦)، وللملك داود (مزمور ٢٣)، وللرسول بولس (٢ كورنثوس ١١: ٢٣-٣٣؛ قارن ٢ تيموثاوس ٤: ٦-٨)، وكذلك لربّنا يسوع المسيح نفسه. نعم، لقد اجتاز الربّ ذاته أعمق وأشدّ أنواع الألم التي سيعرفها العالم على الإطلاق. وقد كتب كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلاً:

"مع كونه ابن الله، تعلّم الطاعة مما تألّم به. وإذ كُمِّلَ [أي تنقّى] بهذا الطريق، صار مصدر الخلاص الأبدي لكل من يثقون به، وقد عيّنه الله [الآب] رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق" (عبرانيين ٥: ٨-١٠، ترجمة NET).

سنختبر نحن أيضاً الألم كمؤمنين متقدّمين في الإيمان، لكن ربّنا اجتاز جحيم الأرض ليكون فادينا وبديلنا. وهذا وحده يجب أن يملأ نفوسنا بخشوع عميق ويُدفئها بنور جلال الله. ويمكننا أن نقول بثقة إن نفس يوسف كانت مشبعة بكلمة الله، وهذا وحده كان كافياً ليجتاز أتون الألم بنجاح باهر. وهذا أيضاً كل ما نحتاجه نحن.

وغالباً عندما تشتدّ الظروف ويصعب الطريق، يتساءل المؤمن: "لماذا أنا؟ لماذا أمرّ بهذا؟" ولكن حين تسير الأمور بسلاسة (ولا حفر في الطريق)، قلّة من المؤمنين فقط (أولئك الموجَّهين بالنعمة) يسألون: "لماذا أكون أنا موضوع بركات الله؟"

احفظ هذا في ذهنك، إذ نحن على وشك أن نرافق يوسف في السجن ونراقب كيف يطبّق حقائق كلمة الله الراسخة في أعماق نفسه.

"وحدث ذات يوم أن يوسف دخل البيت ليقوم بعمله، ولم يكن أحد من رجال البيت هناك في الداخل. فأمسكته امرأة فوطيفار بثوبه وقالت: "اضطجع معي!" فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى الخارج. فلما رأت أنه ترك ثوبه في يدها وهرب إلى الخارج، نادت رجال بيتها وقالت لهم: "انظروا، لقد جاءنا زوجي برجلٍ عبريٍّ ليسخر منا! دخل إليّ ليضطجع معي، فصرخت بصوتٍ عظيم. ولما سمع أني رفعت صوتي وصرخت، ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى الخارج." فتركت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى البيت. ثم كلّمته بمثل هذا الكلام

قائلة: العبد العبراني الذي جئت به إلينا، دخل إليّ ليسخر مني [أي ليغتصبني]. ولما رفعت صوتي وصرخت، ترك ثوبه بجانبي وهرب إلى الخارج." (تكوين ٣٩: ١١-١٨).

يا لها من صانعة أكاذيب بارعة زوجة فوطيفار! ولكن، دون أن يدرك أحد، كانت كذبتها تلك هي الطريق الذي مهّده الله لترقية يوسف إذ تحوّل الألم إلى بركة، وكانت تلك التجربة بمثابة تنقية لنفسه من كل ذرّة كبرياء، وتقوية له في التواضع وفي الاتّجاه نحو النعمة قبل تحقيق أحلامه. ومع أن الطريق كان محفوفاً بالمخاطر، إلا أن يوسف كان سيجني الكثير من حكمة الله ونعمه، ذاك الذي يبرّر الذين يتألّمون ظلماً بسبب ثباتهم في الإيمان بالله.

وكان ردّ فعل فوطيفار على شكوى زوجته حاسماً وسريعاً:

"فلما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به قائلة: "مثل هذا فعل بي عبدك"، حمي غضبه. فأخذ يوسف سيده ووضعه في السجن، في الموضع الذي كان أسرى الملك محبوسين فيه. فكان هناك في السجن" (تكوين ٣٩: ١٩-٢٠).

لقد بدا وكأن الشيطان قد حقّق نصراً جديداً. ومن المثير أن نلاحظ أن فوطيفار كان أمام خيارين: كان يمكنه أن يأمر بقتل يوسف، وبذلك يمنع تحقيق الأحلام، أو أن يزجّه في السجن. لكن عناية الله هي التي تسود دائماً، ولهذا اختار فوطيفار الخيار الثاني.

إن الإله ذاته الذي رتّب الأحداث عند الجبّ فأوصل يوسف إلى مركزٍ رفيع من الثقة في بيت فوطيفار، هو نفسه الإله الذي أعدّ له مائدة نعمة في السجن. "وكان الربّ مع يوسف، وبسط إليه لطفه [أي إحسانه غير المستحق]، وجعل له نعمة في عيني رئيس السجن" (تكوين ٣٩: ٢١). لقد قلنا هذا من قبل، لكن دعونا نقوله ثانيةً، مع تسليط الضوء عليه وتأكيده ووضع علامتي تعجب **لا شيء أروع من أن تكون موضوع نعمة الله** لا شيء من يد الإنسان يمكن أن يُقارَن بهذا ـــ أبداً!

يوسف في السجن

كان يوسف عاجزاً تماماً في زنزانته الرطبة المظلمة. لم يكن قادراً أن يخلّص نفسه، ولا أن يهرب، حتى لو أراد ذلك! وفي خضمّ هذه الأزمة، زارته نعمة الآب التي لا تفشل. لم يُسرع الله في إنقاذ يوسف كما كان يستطيع، بل جعل رئيس السجن يعيّنه نائباً له ومشرفاً على الآخرين. وفي الحقيقة، كانت هذه الترقية أصعب من الخلاص من السجن نفسه! لله حسّ فكاهي عجيب إذ إنه قادر أن يخلّصك من ضيقك كما هو قادر أن يرفعك إلى مكانة من المجد وأنت ما زلت في وسطها.

وجوهر الآية التي نتأملها هو أن الله هو الفاعل في كل ما حدث:

- الله كان مع يوسف (تكوين ٣٩: ٢١أ).

- الله أظهر ليوسف لطفه (الآية ٢١ب).

- الله منح يوسف نعمة في عيني رئيس السجن (الآية ٢١ج).

الله هو الذي يقوم بكل العمل، لأنه يعاملنا دوماً بحسب نعمته. وفي اللحظة التي أدرك فيها يوسف هذه الحقيقة (أنه من دون الله لا يساوي شيئاً) بدأت حياته تسير في طريق النعمة. وهكذا أيضاً كل مؤمن يتحلّى ولو بذرة من التواضع. فعندما يتأمل الإنسان حياته على ضوء نعمة الله، يدرك أنه بدون هذه النعمة لم يكن ليستمرّ في الحياة، فضلاً عن أن ينال بركات مادية أو نجاحاً روحياً وجسدياً. وعند تلك النقطة، تبدأ النعمة بالترسّخ في أعماق النفس.

ليتكم ترون نظراتي المثبتة بالمحبة في أعينكم وأنا أقول هذه العبارة الجليلة: لا كائن مخلوق لا إنسان ولا ملاك لا ظرف من الظروف، ولا كمّ من الدعاية، ولا مرض، ولا معاناة، ولا هجوم شيطاني مدبّر يمكن أن يُنهي خطة الله لحياتك ما دمت ممتلئاً بالروح القدس ومتقدّماً في الحياة الروحية! قد تقول لي: "لكن يا موسى، أنت لا تدرك عِظَم ما أعانيه من ألم." وأنت على حق تماماً! الوحيد الذي يفهم حقاً هو الله العليم بكل شيء، وهو وحده الذي يهمّ!!

لم يعدنا الله في أي موضع من الكتاب المقدس بأن مسيرتنا المسيحية ستكون مفروشة بالورود؛ لكنه وعدنا قائلاً:

"لَنْ أُهْمِلَكَ وَلَنْ أَتْرُكَكَ أَبَداً" (عبرانيين ١٣: ٥).

إن حياة الملك داود هي دليل على أمانة الله في حفظ هذا الوعد (أعمال الرسل ١٣: ٣٦). لم يرفع الله عينيه عن عبده داود لحظة واحدة، بل كان معه في كل صعود وهبوط على الطريق الوعر الذي سلكه، بل وحتى في "وادي ظل الموت". لقد حماه الله من كل ضربة من عدوّ الشرّ حتى أتمّ خدمته ومسؤوليته، وعندها فقط دعاه الله إلى بيته السماوي. كان الله معه في كل لحظة، حتى أكمل تماماً خطته الإلهية في حياته!

وهذا هو حالنا نحن أيضاً لن يتركنا الله حتى نُتمّ مقاصده في حياتنا، أو حتى نموت "خارج مشيئته" إن رفضنا طاعته. تلك هي سيادة الله في أبهى صورها! أما أنا، فلا أرغب أن أبقى لحظة واحدة على هذه الأرض بعد أن أُكمل الله قصده في حياتي. لذلك، يا صديقي، إن كنت تفهم هذه الحقيقة، فلن ترتعب ولن تشعر بأي قلق حتى عندما تعصف بك عواصف الحياة وتحاول أن تقذف بك خارج المسار.

ما أروع أن نرى أمانة الله وهي تتجلّى بينما تتفتح خطته لنا كالزهور على طريقٍ مغبرّ! إن في هذا عزاءً عظيماً لنفوسنا، إذ نعلم أن الله هو القائد دائماً، حتى في وسط الألم، وأن له السلطة العليا في أن يمنع أي حدث لا يتوافق مع خطته لحياتنا. الشيطان يدرك هذا تماماً فهل تدركه أنت؟ إن كنت تدركه، فلماذا تضغط زرّ الذعر حين تهتزّ أركان عالمك؟ صحيح أن الاستجابة الجسدية الطبيعية في أوقات الخطر هي ارتفاع الأدرينالين، لكن يجب أن نُثبّت أفكارنا في لحظةٍ واحدة بالتمسك بوعود الكتاب المقدس مثل:

"اَلرَّبُّ مُعِينِي، فَلَنْ أَخَافَ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي الإِنْسَانُ [أو الشيطان أيضاً]؟" (عبرانيين ١٣: ٦).
"وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأُمُورِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية ٨: ٢٨).

وقد تمسّك أيّوب هو أيضاً بوعدٍ إلهي حين انهار أساس حياته من تحته، قائلاً:
"لَكِنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي، أَخْرُجُ كَذَهَبٍ" (أيوب ٢٣: ١٠).

الفصل الثامن

العناية الإلهية

"فَدَفَعَ رَئِيسُ السِّجْنِ إِلَى يَدِ يُوسُفَ جَمِيعَ الْمَسْجُونِينَ الَّذِينَ فِي السِّجْنِ، وَكُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ هُنَاكَ كَانَ هُوَ الْمُدَبِّرَ لَهُ" (تكوين ٣٩: ٢٢).

نعم، لقد صار يوسف هو المسؤول! كان الله يقول للشيطان إنه قادر أن يُحوِّل الألم إلى بركة في أي وقت، وفي أي مكان، حتى في السجن! وينتهي الإصحاح التاسع والثلاثون بهذه الكلمات الرائعة:

"وَلَمْ يَنْظُرْ رَئِيسُ السِّجْنِ شَيْئاً الْبَتَّةَ مِمَّا فِي يَدِهِ، لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَمَهْمَا صَنَعَ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ" (الآية ٢٣).

لقد كان الله هو المسؤول عن نجاح يوسف في أكثر الظروف قسوةً. لقد أطلق الآب السماوي فيضاً من البركات على يوسف، رغم أنه لم يكن مستحقاً أكثر من أي إنسانٍ آخر في الجنس البشري. إن هذه الحقيقة وحدها يجب أن تمنع الكبرياء من أن يتسلّل إلى قلوبنا، وأن تجعلنا ننظر إلى إنجازاتنا باعتبارها عطايا من نعمة الله لا من استحقاقنا الشخصي.

إن العناية الإلهية ذاتها التي كانت ترعى "الأمير الفتى" في بيت يعقوب، والتي شكّلت مسار حياته ووجّهته، هي نفسها التي "تجعل كل الأشياء [بما في ذلك السجن] تعمل معاً للخير". لقد سمعنا رومية ٨: ٢٨ تُقتبس آلاف المرات، ولكن هل تدور حقيقتها فعلاً في أعماق نفوسنا؟ عندما تسوء الأمور في حياتنا، هل نفسّر ما يجري على ضوء هذه الآية المهيبة من كلمة الله المعصومة؟ أعني، عندما نتأمل في معاناتنا، هل نفكّر بمنظورٍ إلهي بأن الله يعلم تماماً ما يصنعه بنا، نحن أوانيه الترابية؟ إن الحياة الروحية ليست شيئاً سوى **التفكير، التفكير، التفكير!** لا يمكننا أن نُشدِّد على هذه الحقيقة بما فيه الكفاية. فما نفعله بطاقة الجسد لا قيمة له، أمّا ما يَهمّ فعلاً فهو أن تتّفق أفكارنا مع أفكار الله. وهذا التفكير الإلهي هو الذي ينعكس في أفعالنا، لأن أفعالنا ليست سوى ثمرةٍ لأفكارنا.

نحن نعلم أن الله هو المخرج الأعظم لتاريخ البشرية، والعقل المدبّر للخطة الإلهية. فهو يعرف تماماً **متى** و**كيف** يستخدم الظروف (السارة والمؤلمة على حدٍّ سواء) لتحقيق قصده الكامل في حياتنا. وعندما ندرك هذا المفهوم حق الإدراك، نودّع التذمّر على تجاربنا المرة، ونغلق كتاب

الشكوى قبل أن نبدأ بترديد أغنية: "لماذا أنا؟". عندئذٍ نحيا في راحةٍ تامة في الداخل والخارج حتى وسط أعظم العواصف. نعم، وسط العواصف العظيمة!

لا يمكننا أن نكون مؤمنين منتصرين ما لم نفهم فهماً عميقاً من هو الله، وما هي خطته الكاملة، وما هي طريقته في تنفيذها. فكثيراً ما نضغط "زرّ الذعر" عندما نواجه الألم، لأننا ببساطة ننسى بجهلٍ وغباء من هو المدير الحقيقي للمشهد!

فكمؤمنين بالرب يسوع يجب علينا أن نحمي أنفسنا من تأثير الألم من خلال الاتجاه نحو نعمة المسيح، نسير في النمو في النعمة، فهل نفرح حقاً عندما يطرق الألم بابنا؟ الله يأمرنا قائلاً:

"احْسِبُوهُ كُلَّهُ فَرَحاً يَا إِخْوَتِي، حِينَ تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ"(يعقوب ١: ٢).

ويُعلِمنا أن ثباتنا في وسط الألم سيجلب لنا فيضاً من البركات الفائقة في الزمن الحاضر وفي الأبدية أيضاً (يعقوب ١: ٤، ١٢). كان يوسف يدرك هذه الحقيقة العقائدية، ولذلك ظلّ مشجَّعاً ومتحفِّزاً ومتزناً حتى وهو في السجن.

عمل العناية الإلهية

"وَبَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ [أي بعد سجن يوسف وترقيته داخله] أَذْنَبَ سَاقِي مَلِكِ مِصْرَ وَالْخَبَّازُ إِلَى سَيِّدِهِمْ مَلِكِ مِصْرَ. فَسَخِطَ فِرْعَوْنُ عَلَى خَصِيَّيْهِ، رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَئِيسِ الْخَبَّازِينَ، فَوَضَعَهُمَا فِي حَبْسِ بَيْتِ رَئِيسِ الشُّرَطِ فِي السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوسُفُ مَحْبُوساً فِيهِ" (تكوين ٤٠: ١–٣). وهكذا نرى أن يد الله كانت تعمل بدقةٍ مذهلة تُحرّك الأحداث وتنسّق الظروف تمهيداً لتحقيق مقاصده العظمى في حياة يوسف.

هل كان صدفة أن يُرسَل هذان الرجلان إلى نفس السجن الذي كان فيه يوسف؟ أم كانت العناية الإلهية هي التي تعمل في الخفاء؟ لقد رأينا أن الله يستخدم حتى الأحداث التي تبدو غير مهمة في حياتنا لتحقيق مقاصده العظمى. فما نسمّيه نحن "كارثة" ليس سوى أداة في يد الله، لأن "كُلَّ الأُمُورِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ". تذكّر ما حدث في شكيم عندما وجد رجلٌ يوسف تائهاً يبحث عن إخوته (تكوين ٣٧:١٥–١٦). هذا الرجل نفسه كان قد سمعهم من قبل يتحدثون، فأرشده إلى المكان الذي شوهدوا فيه آخر مرة. أكانت صدفة؟! كلا! كانت عناية الله تعمل في كل تفصيل، حول يوسف ومن أجله. وهل كان محض صدفة أن يمرَّ تجّار المديانيين في اللحظة ذاتها التي قرر فيها الإخوة بيع يوسف عبداً بدلاً من تركه في الجب (الآية ٢٨)؟ أهي صدفة لا وجود للصدف في خطة الله !أيضاً؟ كلا، كلا، كلا!

صحيح أن الله ليس هو مصدر الأفعال الشريرة، لكنه يعرف تماماً كيف يستخدمها لمجده قل لي: هل كان إخوة يوسف سيبيعونه لتجار العبيد لو علموا أنه سيصير رئيس وزراء مصر، الرجل الثاني بعد فرعون نفسه؟ بالطبع لا! ولو كان الشيطان يعلم أن بركات أيوب ستتضاعف بعد معاناته القاسية، فهل كان سيطلب من الله الإذن بتجربته؟ مستحيل! لأن خطة الشيطان تقوم على قطع علاقة الإنسان بالله وحرمانه من بركاته. بل أكثر من ذلك لو كان الشيطان يعلم أن موت المسيح الكفّاري على الصليب سيؤدي إلى كفّارة غير محدودة لكل فرد في الجنس البشري، فهل كان سيقاتل بشراسة ليُصلَب المسيح؟ أبدًا! إذن، يا صديقي، عندما يأتيك الألم، لا تضطرب ولا تتذمّر، لأن الله دائم اليقظة، مستعد دائماً ليُدهش الشيطان بنتيجةٍ رائعة خارقة للتوقع. هذه هي قمة نعمة الله التي لا تُدرَك بالعقل البشري. إن توقيت الله الكامل حال دون أن يقتل الملك الساقي والخباز، وبذلك سمح أن يكونا زميلي زنزانةٍ ليوسف أنها خطوة إلهية دقيقة في طريق تحقيق الوعد العظيم.

اتجاه يوسف نحو التواضع

"فجعل رئيس الحرس يوسف معهما فخدمهما، وكانا أيامًا في الحبس. فحلم كلاهما في ليلة واحدة، كل واحد بحسب تعبير حلمه، ساقي ملك مصر وخابزه اللذان في السجن. فدخل إليهما يوسف في الصباح ونظرهما، وإذا هما مغتمان. فسأل خاصتي فرعون اللذين معه في حبس بيت سيده، قائلاً: لماذا وجوهكما عابسة اليوم؟ فقالا له: حلمنا حلمًا وليس من يفسره" (تكوين ٤٠: ٤-٨).

التواضع هو حالة ذهنية يرى فيها الإنسان نفسه صغيرًا ويخضع بفرح لكل سلطة شرعية. كان موقف يوسف تجاه السجناء الخاضعين له دليلاً واضحًا على اتزانه وتواضعه. تذكّر أنه كان مسؤولًا عن إدارة السجناء رغم كونه سجينًا مثلهم.

الفعل المترجم من العبرية "خدمهما" يعني تقديم خدمة رفيعة المستوى لأشخاص ذوي مكانة أو مقام. ورد هذا المعنى كثيرًا في العهد القديم، وغالبًا في سياق الخدمة الفعلية للآخرين، مثل خدم القصر أو من يخدم النبي أو الملك. كان يمكن ليوسف أن يتعالى على السجناء تحت سلطته لأنه المسؤول عنهم، لكنه اختار أن يمارس التواضع وهو في موقع القيادة. خدم زملاءه السجناء فعليًا كما لو كان خادمهم، مثلما فعل الرب يسوع حين خدم تلاميذه وغسل أرجلهم. الاهتمام بسلامة الآخرين من غير أنانية هو أحد أبرز مظاهر النعمة. فالمؤمن الحقيقي الذي ينمو في النعمة هو الذي يهتم بخير غيره بصدق ومحبة.

قال بولس لأهل فيلبي:
"لا تفعلوا شيئًا بتحزب أو تعالٍ باطل، بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسكم، ولا ينظر أحد إلى ما هو لنفسه، بل إلى ما هو للآخرين أيضًا" (فيلبي ٢: ٣-٤).

وقال لأهل أفسس.
"أنتم تعلمون أن هاتين اليدين خدمتا حاجاتي وحاجات الذين معي" (أعمال الرسل ٢٠: ٣٤).

كان يوسف مثالًا حيًا لهذه المبادئ، إذ لم يتكبر، بل خدم من حوله في تواضع ومحبة، فكان نورًا وسط ظلمة السجن.

مثل بولس، كان يوسف مهتمًا بخير الآخرين. ففي صباح أحد الأيام، ذهب إلى زميليه في السجن ولاحظ أنهما حزينان (تكوين ٤٠:٦). كان يراقب ملامحهما بدقة كما لو كان يشاهد مشهدًا أمام عينيه. كان منتبهًا لتعبيرات وجهيهما ومشاعرهما. كان يمكنه أن يتجاهلهما بلا مبالاة، لكنه لم يفعل ذلك. بل سألهم بلطف: "لماذا وجوهكما عابسة اليوم؟" وكان قصده أن يساعدهما. امتلأ قلب يوسف بالرحمة فقال لهما:
"أليست التعابير لله؟ قصا عليّ الحلم" (الآية ٨).

يا له من رجل حكيم! فقد كان يوسف يعلم أن الله هو مصدر كل بركة في حياته، بما في ذلك قدرته على تفسير الأحلام. فقصّ رئيس السقاة والخباز أحلامهما على يوسف (الآيات ٩-١٨)، ففسّرها لهما. كانت نتيجة حلم رئيس السقاة إيجابية، أما الخباز فعلم أن موته قريب. وتحققت تفسيرات يوسف تمامًا كما قال، إذ أمر فرعون بإعدام الخباز في اليوم الثالث، كما أوضح يوسف في تفسيره (تكوين ٤٠:١٦-٢٠).

الفشل الروحي

كل أبطال الإيمان في الكتاب المقدس كانت حياتهم تحمل آثار الفشل الروحي، لأن الطبيعة الخاطئة التي فينا جميعًا هي مصدر التجربة، والإرادة الحرة هي التي تدفع الإنسان إلى ارتكاب الخطايا. أولئك المؤمنون العظماء كانوا أحيانًا ينزلقون إلى وحل الخطيئة، لكنهم كانوا يعودون سريعًا بالتوبة، ويواصلون مسيرتهم نحو بركات النعمة الفائقة. كانوا يطيعون وصية الله بالاعتراف بخطاياهم، ويستمرون في التعلّم من كلمته. قد يتساءل البعض: لماذا يتعرّض المؤمنون العظماء مثل أيوب وموسى وإبراهيم ويوسف وداود والرسول بولس للسقوط أكثر من غيرهم؟ السبب هو أنهم هدف مباشر لهجمات الشيطان وجنوده الأقوياء. فالشيطان لا يهتم كثيرًا بالمؤمنين الضعفاء أو الجسديين لأنهم بالفعل يسيرون في طريقه، لكنه يترصّد دائمًا "المؤمن

الذهبي" ذلك الذي يسلك بإيمان ونضج روحي. نعرف هذا من الحادثة التي وردت في سفر الأعمال، عندما حاول سبعة من أبناء سكاوا، وهو كاهن يهودي، أن يستدعوا اسم يسوع المسيح لطرد الأرواح الشريرة. عندها أجابهم الروح الشرير قائلًا.
"يسوع أعرفه، وبولس أعلمه، وأما أنتم فمن أنتم؟" (أعمال الرسل ١٤:١٩-١٥).

تُظهر هذه القصة أن الشيطان يعرف جيدًا المؤمنين الأقوياء الذين يهددون مملكته، تمامًا كما كان يعرف يوسف الذي سلك في طريق النعمة والإيمان.

بمعنى آخر، كأن الشيطان يقول: "أنا مشغول ليل نهار في إسقاط المؤمنين الأقوياء، أولئك الذين أسميهم "المؤمنين الذهبيين"، ولا وقت لديّ لأضيعه على المؤمنين الجهال روحيًا أمثالكم. أنا أستهدف العمالقة الروحيين"! ومن الأسباب الأخرى التي تدفع الشيطان إلى مهاجمة المؤمنين الناضجين أن فشلهم يلفت الأنظار بشدة، مما قد يُضعف أو يُربك المؤمنين الجدد.

كلنا نفشل، بلا استثناء. لكن بعض المؤمنين المتكبرين يجلسون على عروشٍ من البرّ الذاتي ويحكمون على الآخرين عندما يسقطون، في حين يتجاهلون أوامر السماء التي تأمرنا أن نحكم على أنفسنا فقط، أي أن نعترف بخطايانا أمام الله الآب. هؤلاء المؤمنون الأنانيون المتغطرسون يتسمون بروحٍ ناموسية جامدة. يختارون بعض الخطايا التي لا يستمتعون بها شخصيًا، ثم يدينون الآخرين الذين يقعون فيها.

ومع أن من يسلك في هذا الكبرياء لا يستحق الحياة الأبدية، إلا أنه ينالها على أي حال، كما ينالها كل من يؤمن بالمسيح مخلّصًا له، لأن إله النعمة لا ينقض وعوده أبدًا. وقد وجّه الرسول بولس سؤالًا قاسيًا لهؤلاء المؤمنين المتكبرين قائلًا:
"من أنت الذي تدين عبد غيرك؟ لمولاه يثبت أو يسقط، ولكنه سيثبت، لأن الرب قادر أن يثبّته" (رومية ١٤:٤).

كما أمر الله على لسان يعقوب، أخي الرب:

"لا يذم بعضكم بعضًا أيها الإخوة. من يذم أخاه أو يدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس. وإن كنت تدين الناموس فلست عاملًا بالناموس، بل ديّانًا له. واحد هو واضع الناموس، القادر أن يخلّص ويهلك. فمن أنت يا من تدين قريبك؟" (يعقوب ١١:٤-١٢).

فالرسالة هنا واضحة: لا تدنِ أحدًا، بل دَع الله وحده يكون الديّان، فهو العارف بالقلوب، والعادل في أحكامه، والرحيم في مقاصده.

بعضنا يسير على أرضٍ خطرة حين يتصرّف كأنه إله صغير، يتطفّل على صلاحيات الله ويقوم بدور الحارس الذي يراقب عباده ليحكم عليهم. هذا الأسلوب في الحياة لا يمتّ بصلة إلى روح النعمة. فعندما يسقط مؤمن في خطيئة، مهما كانت فادحة، فإن كهنوتنا كمؤمنين يوجب علينا أن نرفعه في الصلاة أمام عرش نعمة الله، شافعين لأجله بدلًا من إدانته. لا ينبغي لنا أن نجرّ الآخرين إلى الخطيئة من خلال القيل والقال أو الانتقاد أو السخرية. كما لا يجوز أن نحكم على أحد لأننا لا نعرف كل الظروف المحيطة بفشله وحده الله يعلمها. لا تضحك على سقوط مؤمن آخر، لأنك لا تدري أي نوع من الفشل قد تقع فيه غدًا. يا صديقي، لا تتصرّف بازدراء أو حكم قاسٍ عندما يسقط أخوك في المسيح، لأنك أنت أيضًا ستتعثر في معركة الحياة الروحية. كلنا نحتاج إلى فيض من النعمة الإلهية.

فشل يوسف

في مرحلة من سجنه، انزلق يوسف من منظور إلهي إلى منظور بشري:

فقال له يوسف (أي لرئيس السقاة) "هذا تفسيره: الثلاثة القضبان هي ثلاثة أيام. بعد ثلاثة أيام يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مكانك، فتعطي كأس فرعون في يده كالعادة السابقة حين كنت ساقيه. ولكن اذكرني عندك متى أحسن إليك، واصنع إليّ إحسانًا، واذكرني لفرعون وأخرجني من هذا البيت، لأني سُرقت من أرض العبرانيين، وهنا أيضًا لم أفعل شيئًا حتى وضعوني في السجن" (تكوين ٤٠: ١٢-١٥).

في هذه اللحظة أخطأ يوسف الهدف الروحي. فبعد أن رأينا كيف كان خلال كل معاناته يثبت نظره على الله الذي أنقذه بنعمته، هنا تراجع وفقد تركيزه. الكلمة المترجمة "إحسانًا" تشير إلى محبةٍ تتضمن رحمة أي النعمة وهي في حالة عمل. لكن يوسف هنا وضع ثقته في الإنسان بدلًا من الله، فاستحق تأديبًا إلهيًا استمرّ سنتين إضافيتين في السجن. لقد ضعف إيمانه، ونقل ثقته من عرش النعمة إلى ذراع البشر وهو خطأ يعاقب عليه العدل الإلهي الأبدي:

هكذا يقول الرب: "ملعون الرجل الذي يتّكل على الإنسان، ويجعل الجسد ذراعه، ويبتعد قلبه عن الرب" (إرميا ١٧:٥).
وردّد المزمور ذات المعنى قائلًا: "لا تتّكلوا على الرؤساء، ولا على ابن آدم الذي ليس عنده خلاص" (مزمور ١٤٦:٣).

لقد فشل يوسف فشلًا ذريعًا حين حوّل اتكاله من الله إلى رئيس السقاة، وتذمّر بسبب ما اعتبره ظلمًا في معاملته. ولكن تذكّر أن دورنا ليس أن نقول: "يوسف، كيف تجرؤ على تحويل ثقتك

من الله إلى إنسان؟" فالخبر السار هو أن الله يحكم بنعمة، لا بقسوة. صحيح أن يوسف خذل الله في تلك اللحظة، لكن الله لم يخذله قط. وفي ختام هذا التأمل المهيب حول مبدأ النعمة، ومع تركيزنا على شخصية يوسف، من الضروري أن نتأمل في أمانة الله. فكثير من اللاهوتيين ومعلّمي الكتاب المقدس يختلفون حول مسألة "الأمان الأبدي للمؤمن"، لأن فهمهم لأمانة الله ضحل وسطحي. إنهم يتصوّرون أن الله يتصرّف تجاه المؤمن الخاطئ كما يتصرّف الإنسان عندما يُهان أو يُعصى أي بالانتقام أو الغضب. لكنهم يتجاهلون نصوصًا صريحة مثل هذا المقطع:

"صادق هو القول: لأنه إن كنّا قد متنا معه [يسوع المسيح] فسنحيا أيضًا معه، وإن صبرنا فسنملك أيضًا معه، وإن أنكرناه فهو أيضًا سينكرنا [أي سيحرمنا من المكافآت، راجع ١ كورنثوس ٣: ١١-١٥]، وإن كُنّا غير أمناء، فهو يبقى أمينًا، لأنه لا يستطيع أن ينكر نفسه" (٢ تيموثاوس ٢: ١١-١٣).

أي إن الله يظل أمينًا لوعوده حتى إن خان المؤمن إيمانه أو ضعف، لأن أمانته جزء من ذاته، وهو لا يمكن أن يتناقض مع طبيعته أو ينزل إلى مستوى عدم أمانة الإنسان.

إن هؤلاء اللاهوتيين الجاهلين يصوّرون الله في صورة بشرية، فيجعلونه أشبه بالإنسان في ضعفه وخطيئته. لكن أمانة الله راسخة كصخر الدهور، ولا يمكن لسلوك الإنسان الخاطئ أن يغيّرها. فأمانة الله تقوم على صدقه؛ إذ هو الحق المطلق، وكل ما ينطق به حق مطلق. بمعنى آخر، إن أمانة الله متجذّرة في جوهره الإلهي، في من هو وما هو، لا في أي عامل خارجي آخر.

وللتوضيح، تخيّل أن جوهر الله يشبه محرّك سيارة مكوّنًا من عدد هائل من الأجزاء الدقيقة. تخيّل مثلًا سيارتك المفضلة لنقل إنها سيارة BMW جديدة لامعة تقف أمام مرآبك.

ثم تخيّل أنك طلبت من الميكانيكي أن يستبدل حاقن الوقود الجديد فيها بآخر قديم معطّل. إذا حاولت تشغيل المحرّك، فلن يعمل أبدًا لأن أحد أجزائه الأساسية فاسد. وهكذا أيضًا، لو فشل الله في إنجاز وعدٍ واحد فقط أو أبطل كلمة واحدة مما قاله، لكان ذلك خللًا في صدقه، أي في أحد مكونات جوهره الإلهي، وبالتالي لفسدت كينونته كلها وهذا مستحيل. لذلك، فإن أمانته مرتبطة ارتباطًا لا ينفصم بصدقه؛ فهما متّحدان اتحادًا تامًا. إن كل رجائنا وثقتنا يستندان إلى هذه الأمانة الإلهية الثابتة. فقد استند رجاء يوسف في أن يصبح وزيرًا لمصر على أمانة الله، تمامًا كما تعتمد ثقتنا في وعود الله الزمنية والأبدية على هذه الأمانة ذاتها.

كلمة الله: مرساة أمانته

بوحي من الروح القدس، أكّد النبي إشعياء ثبات أمانة الله تجاه كلمته قائلاً:
"يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزهرُ، وأما كلمةُ إلهنا فَتَثْبُتُ إلى الأبد" (إشعياء ٨:٤٠).

وبعبارة معاصرة يمكننا القول: "حين يتكلّم الله، ينتهي كل نقاش بشري أو ملائكي!" لأن كلمة الله كاملة لا نقص فيها، ولا يجوز لأي أحد أن يناقشها أو يراجعها أو يضيف إليها. إنها تبقى مقدّسة إلى الأبد كما أرادها الله أن تكون.

ويضيف النبي إشعياء مؤكدًا:
"قَدْ حَلَفَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: إِنَّهُ كَمَا قَصَدْتُ يَكُونُ، وَكَمَا نَوَيْتُ يَثْبُتُ" (إشعياء ٢٤:١٤).

إن الله يحفظ كلمته مهما تغيّرت الظروف. فلا فشل من جانبنا، ولا ظرف من الظروف، ولا سلاح متقدّم، ولا مرض فتاك، يستطيع أن يُقصّر أو يُغيّر خطة الله لحياتنا ولو بمقدار ذرة! تلك هي خلاصة بهاء نزاهة الله وكماله الأخلاقي.

قوس قزح: تذكار أمانة الله لكلمته

فور انحسار الطوفان، عقد الله عهداً مع نوح ومع كل الأجيال من بعده:

"ثم كلم الله نوحًا وبنيه معه قائلًا: وها أنا أقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم، ومع كل ذوات الأنفس الحيّة التي معكم، الطيور والبهائم وجميع وحوش الأرض معكم، من كل ما خرج من الفلك من كل حيوان الأرض. أقيم ميثاقي معكم، فلا ينقرض كل ذي جسد أيضًا بمياه الطوفان، ولا يكون أيضًا طوفان ليخرب الأرض. وقال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحيّة التي معكم إلى أجيال الدهر: وضعتُ قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحابًا على الأرض وتُرى القوس في السحاب، أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حيّة في كل جسد، فلا تكون أيضًا المياه طوفانًا لتهلك كل ذي جسد" (تكوين ٩: ٨–١٥).

كلّما رأيتُ قوس قزح في السماء، أرفع قلبي بالحمد لله على حكمته العجيبة وجمال صنع يديه في جلال السماء. وأكثر من ذلك، أشكره على أمانته الفائقة التي لا تُضاهى. لقد مرّ أكثر من

أربعة آلاف سنة منذ الطوفان، ومع ذلك لا يزال الله يرسل أقواس قزح تذكيرًا بأن عهده مع نوح ما زال قائماً وصادقاً. الله يحفظ كلمته! وهذه هي روعة أمانته التي تُدهش القلوب وتملؤها تسبيحًا.

وجود إسرائيل: برهان على أمانة الله لكلمته

أقام الله عهدًا غير مشروط مع إبراهيم الذي كان في الخامسة والسبعين من عمره، متعهّدًا أن يبارك العالم من خلال نسله. في سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر، نقرأ:

"فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تكوين ١٢: ٢–٣، انظر غلاطية ٣: ٨).

لقد بدا هذا العهد الفريد في نعمة الله وكأنه مُعلّق لأكثر من عشرين عامًا، لأن سارة زوجة إبراهيم (التي كان من رحمها سيخرج نسل الوعد) كانت عاقرًا (تكوين ١١: ٣٠)، وكانت حينها في الخامسة والستين من عمرها وفي ذروة سنّ اليأس. كان يبدو أن عقمها حاجزٌ ضخمٌ لا يمكن تجاوزه أمام تحقيق وعد الله، لكن أمانة الله كانت تمرّ بمرحلة الاختبار. وها هو بعد خمسةٍ وعشرين عامًا يرفع كل العوائق الجسدية لتلد سارة ابنها إسحق، أوّل تحقيقٍ لوعد الله لإبراهيم (تكوين ٢١: ٢–٣).

وعاش إسحق بدوره التجربة ذاتها، إذ كانت زوجته رفقة عاقرًا (تكوين ٢٥: ٢١). لكن بعد عشرين عامًا من الانتظار، تجلّت أمانة الله مرة أخرى بولادة توأمين جلبا له فرحًا عظيمًا (الآية ٢٤). نعم، توأمان بعد عقدين من الصبر، دليلاً جديدًا على أن الله أمين في كل ما وعد به. ومن خلال يعقوب، ابن إسحق، ثالث الآباء البطاركة، كوَّن الله الأمة الإسرائيلية بعد مرور ٤٣٠ عامًا من أول وعد قطعه لإبراهيم. لكن الأمر لا ينتهي هنا، فقد أكمل الله وعده بأن يبارك العالم من خلال نسل إبراهيم (غلاطية ٣: ٨–٩، ١٦)، وبعد أكثر من ألفي سنة وُلد يسوع المسيح، تحقيقًا أعظم لذلك الوعد.

ولا يزال لشعب إسرائيل مستقبل في خطة الله. فوجودهم المستمر رغم الهجمات الشيطانية المتكررة عبر التاريخ هو شهادة حية على أمانة الله التي لا تزول. وكما لخّص أحد المفسرين الكتابيين قائلاً: "برهان وجود الله يمكن اختزاله في كلمة واحدة — إسرائيل".

اضطراب إسرائيل: تذكار لأمانة الله لكلمته

يقول الكتاب المقدس:
"ويبددك الرب في جميع الشعوب... وهناك بين تلك الأمم لا تطمئن، ولا يكون قرار لقدمك" (تثنية ٢٨: ٦٤–٦٥).

لقد اختبر الشعب اليهودي هذا التأديب الإلهي القومي عبر تاريخهم بأكمله. وكانت الضربة القاضية سنة ٧٠ بعد الميلاد حين دمّر الله مملكة يهوذا، آخر كيان كهنوتي يهودي، تمامًا كما تنبأ الرب يسوع في (لوقا ١٩: ٣٤–٤٤). واليوم، ما زال اليهود مشتّتين في أرجاء الأرض، وما زلنا نرى بوضوح معاناتهم الجماعية في كل مكان. ومع ذلك، فإن هذه الأحداث لا تفاجئنا، لأنها تحقق ما نطق به الله منذ القديم فالله يحفظ كلمته ولا يُخلف وعده. والله وحده هو القادر على التعامل مع تأديب شعبه. أما الذين يتجرؤون بغطرسة على "مساعدته" من خلال معاداة السامية أو أي نظام آخر، فسوف يجدون أنفسهم تحت التأديب الإلهي أيضًا. إن ما نؤكد عليه هنا هو أن **كلمات الله في سفر التثنية ما زالت تتحقق حتى يومنا هذا!**

ألم المرأة الذي لا يُوصف في المخاض: تذكار أن كلمة الله ثابتة في السماء

لا نعلم بدقة كم من الزمن مضى منذ أن نطق الله بأحكامه على آدم وحواء، لكن دراسة الأنساب في الكتاب المقدس تشير إلى ما يقارب سبعة آلاف سنة. وقد كان الحكم الإلهي على المرأة واضحًا وسريعًا:
"تكثيرًا أُكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا" (تكوين ٣:١٦).

يا صديقي، هل يمكنك أن تُريني امرأةً واحدةً في تاريخ البشرية وضعت طفلًا دون أن تتألم؟ حتى في عصر الطب الحديث، حين تُستخدم وسائل لتخفيف الألم كالتخدير النصفي، تظل المرأة تشعر بالألم أثناء المخاض. أما اللواتي يخضعن لولادة قيصرية تحت التخدير الكامل، فيعانين ألمًا شديدًا بعد استيقاظهن ولمدة أسابيع لاحقة. هكذا، يظل وعد الله قائمًا الله يحفظ كلمته!

ميلاد المسيح العذراوي: تذكار لأمانة الله لكلمته

في اللحظة نفسها التي نطق فيها الله بالحكم على آدم وحواء، أعلن أيضًا عن ميلاد يسوع المسيح من عذراء، قائلًا:
"وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه" (تكوين ٣:١٥).

ومضت آلاف السنين دون أن يظهر أي دليل على تحقيق هذا الوعد الفريد، إلى أن أعاد الأنبياء التأكيد عليه نبويًا في العهد القديم:
"ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل" (إشعياء ٧:١٤).

وربما ظنّ الناس أن الوعد سيتحقق قريبًا، لكن نحو سبعمئة عام مضت قبل أن يتمّ الوعد بميلاد المسيح كما ورد في (لوقا ٢:٦–٧). ومع ذلك، فإن الله دائم الأمانة، وتوقيته دائمًا كامل ومناسب بلا خطأ.

مبادئ أساسية:

- الله برّ مطلق، وليس فيه أي ظلم أو شرّ.

- الأمانة جزء لا يتجزأ من صدق الله. قداسة الله تتطلّب أن يكون أمينًا تمامًا لكلمته في كل حين.

- عدم الأمانة بجميع أشكالها خطيّة، ولو أن الله كان يمكن أن يكون غير أمين ولو لمرة واحدة، لما كان هو الإله الحقيقي الذي يعلنه الكتاب المقدس، ولما كان لنا رجاء في وعوده الأبدية. لكن ما أعظم الراحة في معرفة أنه أمين إلى الأبد!

- على المؤمن أن يثق في أمانة الله عندما يتمسك بأي وعد من وعود الكتاب المقدس، مثل قوله: "ألقِ على الرب همَّك، فهو يعولك، لا يدع الصدّيق يتزعزع إلى الأبد" (مزمور ٥٥:٢٢).

الآن، هكذا يقول الرب خالقك، والذي شكّلك: "لا تخف، لأني فديتك، دعوتك باسمك، أنت لي! إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك، وإذا سرت في النار فلا تُحرق، واللهيب لا يلتهب بك. لأني أنا الرب إلهك، قدوس إسرائيل، مخلّصك..." (إشعياء ٤٣:١–٣).

- لذلك، لا ينبغي لنا أن نرتعب أو نيأس عندما يؤجّل الله تحقيق وعوده، لأنه يعرف تمامًا ما يفعله ومتى يكون الوقت المناسب لإتمامه.

- كن واثقًا أن قصد الله النهائي لحياتك سيتم بالكامل، بلا نقصان.

- لا يمكن لمؤمن ناضج روحيًا أن يغادر هذا العالم قبل أن يحقق قصد الله الذي خُلق من أجله، كما قيل عن داود:
"لأن داود بعدما خدم مشورة الله في جيله، رقد ووُضع مع آبائه ورأى فسادًا" (أعمال الرسل ١٣:٣٦).

عندما تذكر الله يوسف

بعد أن ترسخت المبادئ السابقة في أذهاننا، يمكننا أن نواصل لنسأل: هل استجاب الله بأمانته عندما فشل يوسف؟ لنترك التفسير الكتابي يجيبنا.

"ولكن رئيس السقاة لم يذكر يوسف، بل نسيه" (تكوين ٤٠:٢٣).

علينا أن نفهم سبب نسيان رئيس السقاة ليوسف وعدم ذكره أمام فرعون. لم يكن يعاني من فقدان الذاكرة أو أي مرض، بل لأن الوقت لم يكن قد حان بحسب توقيت الله. لم يكن لدى فرعون أحلام بعد ليستدعي يوسف، كما أن يوسف كان بحاجة إلى مزيد من النمو الروحي خلال فترة المعاناة. أراد الله أن يعلمه درسًا عميقًا في الثقة والاعتماد الكامل عليه في كل الظروف.

"مبارك الرجل الذي يتكل على الرب، ويكون الرب متكله، لأنه يكون كشجرة مغروسة على المياه، وعلى نهر تمد أصولها، ولا ترى إذا جاء الحر، ويكون ورقها أخضر، وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار" (إرميا ١٧:٧-٨).

"يا رب الجنود، طوبى للإنسان المتكل عليك" (مزمور ٨٤:١٢).

الراحة الداخلية الكاملة والثقة في الله في كل مجالات الحياة هما علامتان للنضوج الروحي الحقيقي.

"وحدث في نهاية سنتين كاملتين أن فرعون حلم" (تكوين ٤١:١).
"وكان في الصباح أن نفسه انزعجت، فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وحكماءها، فقص عليهم فرعون حلمه، ولكن لم يكن من يفسره له" (تكوين ٤١:٨).

لم يكن ذلك صدفة، فكل شيء في الحياة يجري تحت سيطرة الله الكاملة. كان الله يعمل في الخفاء ليقود يوسف في الوقت المناسب الذي حدده بدقة.

"عندئذ تكلّم رئيس السقاة أمام فرعون وقال: أذكر اليوم خطاياي، حين كنا أنا ورئيس الخبازين في السجن، حلمنا في ليلة واحدة، كل واحد حسب حلمه. وكان معنا هناك شاب عبراني، عبد لرئيس الشرطة، فقصصنا عليه أحلامنا ففسرها لنا، لكل واحد حسب حلمه. وكما فسر لنا هكذا حدث، فأعادني إلى وظيفتي، وأما هو فعلقه" (تكوين ٤١:٩-١٣).

بهذا كان الله يهيئ يوسف ليتعلم أحد أهم الدروس في الحياة الروحية، وهو الاعتماد الكامل والثقة التامة بالله في كل الأمور.

لا أستطيع أن أصف فرحتي وأنا أرى الروح القدس ينير ذهني لأتأمل مجد الله العجيب، إله المفاجآت! عندما ندرك حقًا أن الله هو المتحكم والمخرج الأعظم لتاريخ البشر، يمكننا أن نفرح حتى وسط المعاناة، أيًا كانت شدتها، لأننا نعلم أن الله دخل إلى ورشة عمله ليحوّل كل الأشياء لخير الذين يحبونه. إنه يعمل لأجلنا، يصوغ آلامنا ويضبطها بعناية ليُدهشنا في النهاية بعمله الكامل الرائع الذي يجعلنا نهتف قائلين: ما أعظم إلهنا!

"فأرسل فرعون ودعا يوسف، فأسرعوا بإخراجه من السجن، ولما حلق وبدّل ثيابه، دخل على فرعون. فقال فرعون ليوسف: حلمت حلمًا وليس من يفسره، وقد سمعت عنك أنك تسمع الحلم فتفسره" (تكوين ٤١:١٤-١٥).

يا لها من فرصة أمام يوسف لينسب لنفسه بعضًا من مجد الله! لكنه لم يفعل
"فأجاب يوسف فرعون قائلاً: ليس لي، الله يجيب فرعون بالسلامة" (الآية ١٦).

يا للتواضع العظيم! لم يفقد يوسف أبدًا تركيزه على أن الله هو الذي يعمل في حياته. كانت أفكاره منسجمة مع كلمات الرسول بولس: "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (كورنثوس الأولى ١٥:١٠).

ونسأل أنفسنا: "يوسف، هل يمكننا أن نحيا حياتك الروحية؟"
نعم، يمكننا ذلك إذا غمرنا أنفسنا في كلمة الله تحت إرشاد الروح القدس، وطبقنا حقها بأمانة في حياتنا. في الواقع، يمكن أن تكون حياتنا الروحية أعظم من حياة يوسف، لأننا نحظى ببركة الامتلاء بالروح القدس عندما نعترف بخطايانا لله الآب، ولدينا الكتاب المقدس الكامل الذي يرشدنا ويثبتنا. أما يوسف، فلم يكن يمتلك هاتين البركتين العظيمتين.

روى فرعون حلمه ليوسف وانتظر تفسيره، وكان الله هو من رتّب المشهد ليُتم وعده ليوسف الذي لم يكن مستحقًا لذلك بحسب المقاييس البشرية.

فقال يوسف لفرعون: "حلم فرعون واحد، قد أخبر الله فرعون بما هو مزمع أن يفعله" (تكوين ٤١:٢٥).

مبادئ:

- الله هو المتحكم في تاريخ البشر، وليس آلامنا أو ظروفنا هي التي تتحكم، بل الله وحده هو السيد على كل شيء.

- الله يسيطر على جميع الظروف، ويستخدم كل حدث في حياتنا ليُتم خطته الكاملة من أجلنا.

- مهما كانت الوسائل التي يستخدمها الشيطان ضدنا، فإن الله مستعد دائمًا ليحوّلها إلى نتيجة مدهشة لخيرنا.

- لا يوجد أي سبب يدعونا للقلق أو الذعر عندما تهبّ عواصف الحياة وتهدد سلامنا.

- ما دمنا نوجّه أفكارنا نحو السماء ونثق في الله، فسيجعلنا ننظر إلى الوراء في نهاية التجربة بابتسامة، شاكرين له على حكمته ومحبته.

الفصل التاسع
يوسف في القمة

مكَّن اللهُ يوسفَ من تفسير حلم فرعون:
"السبع بقرات السمان هن سبع سنين، والسبع سنابل الجياد هن سبع سنين، الحلمان واحد. والسبع بقرات الهزيلات القبيحات اللواتي صعدن بعدهن هن سبع سنين، والسبع سنابل الرقيقة المحروقة بالريح الشرقية تكون سبع سنين من الجوع. هو الأمر الذي كلمتُ به فرعون: قد أرى اللهُ فرعون ما هو صانع. هوذا سبع سنين تأتي شبعًا عظيمًا في كل أرض مصر، ثم تقوم بعدها سبع سنين جوع، فيُنسى كل الشبع في أرض مصر، ويُتلف الجوع الأرض. فلا يُعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده، لأنه يكون شديدًا جدًا. وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين، فلأن الأمر قد تقرر من قبل الله، والله يُسرع في إجرائه" (تكوين ٤١: ٢٦–٣٢)"

هل تدرك ما الذي حدث حقًا هنا؟ أولًا، دبَّر اللهُ لمصر برنامجًا يمتد أربعة عشر عامًا، يتألف من سبع سنين رخاء تليها سبع سنين مجاعة. ثانيًا، جعل اللهُ فرعون يرى حلمًا مخيفًا يُعلِن عن مقصده الفريد. ثالثًا، شفى اللهُ رئيسَ السقاة من نسيانه، ذلك النسيان الذي جعله يغفل عن ذكر يوسف أمام فرعون كما طلب منه يوسف. وأخيرًا، استدعى اللهُ يوسف، المؤمن المستعد روحيًا، ليواجه الموقف، فقام بذلك باتزانٍ وتواضعٍ رفيع. تُبرَز سيادة الله بوضوح في الجزء الأخير من الآية ٣٢: اللهُ هو من قرَّر الأمر، واللهُ هو من سينفِّذه. الأمر بهذه البساطة!

كلما وجدتَ نفسك في موقفٍ صعب، أسرِع بمراجعة نفسك لتتأكد إن كنتَ قد انحرفتَ عن جعل إدراك كلمة الله وتطبيقها أعلى أولوياتك. فإذا كنتَ، وفقط إن كنتَ، تسير في الحياة الروحية بقوة امتلاء الروح القدس وكلمة الله العامرة في نفسك، فافرح، لأن الله قد أعدَّ لك مستقبلًا مجيدًا. قد تسأل: "إلى متى عليّ أن أنتظر التخرّج؟" هذا سؤال لا يستطيع إنسان أن يجيب عنه. لقد كان يوسف في "مدرسة المعاناة المصرية" ثلاث عشرة سنة! عزاؤنا أن أبانا السماوي، كما يُعدّنا بنعمته، فإنه حين يُتمّ إعدادنا، يرفعنا إلى موضع الكرامة.

التطبيق الدقيق للمعرفة عند يوسف

بينما نتأمل هذا الجزء، أودّ منك أن تتأمل في حياة يوسف وأمانة الله في تحقيق وعده له. تأمل في الشدائد العظيمة التي اجتازها يوسف في "أتون النعمة" الذي صُهر فيه بالألم، وقبل كل شيء، في ثباته على استخدام التعاليم الكتابية المخزونة في نفسه ليجلب المجد والكرامة لأبيه السماوي. في النهاية، لم تكن حياة يوسف عن نفسه، بل عن الله وعن تمجيد الله إلى أقصى حد ممكن:

"ولكن في بيت كبير [بيت الله] ليست آنية من ذهب وفضة فقط، بل أيضًا من خشب وخزف، وتلك للكرامة وتلك للهوان. فإن طهر أحد نفسه من هذه، يكون إناءً للكرامة [مضمون!] مقدسًا [مفرزًا] نافعًا للسيد [الله] مستعدًا لكل عمل صالح" (٢ تيموثاوس ٢: ٢٠-٢١).

نحن نعلم أن الحكمة الروحية هي التطبيق الدقيق للمعرفة الكتابية. لقد انبثقت نصيحة يوسف الحكيمة لفرعون من خزّان كلمة الله المترسخة في أعماق نفسه:

"فلينظر فرعون رجلًا بصيرًا وحكيمًا، ويقيمه على أرض مصر. يفعل فرعون فيوكل نُظّارًا على الأرض، ويأخذ خُمس غلة أرض مصر في سني الشبع السبع. فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيدة القادمة، ويخزنون قمحًا تحت يد فرعون طعامًا في المدن ويحفظونه. فيكون الطعام زادًا للأرض لسبع سنين الجوع التي تكون في أرض مصر، فلا تنقرض الأرض بالجوع" (تكوين ٤١: ٣٣–٣٦).

كانت مصر، الدولة المزدهرة، على وشك أن تواجه مجاعة غير مسبوقة، وكانت بحاجة إلى عبقري اقتصادي يواجه هذا التحدي. وكان يوسف هو رجل الساعة! فمن خلال مخزون الحقائق الروحية في نفسه، ومن خلال توجهه النعمة التي اكتسبها عبر المعاناة، امتلك يوسف العناصر الجوهرية للقيادة الحكيمة. وليس عجيبًا أن المرنم قال:

"وصاياك [مجمل التعاليم الإلهية] جعلتني أحكم من أعدائي لأنها إلى الأبد لي. أكثر من جميع معلّميّ تعقّلت لأن شهاداتك هي درسي. أكثر من الشيوخ فهمت لأني حفظت وصاياك" (مزمور ١١٩: ٩٨-١٠٠).

حين فسّر يوسف الأحلام، أعطى فرعون مجرد لمحة من الحكمة العظيمة التي اكتسبها عبر تجاربه في الحياة. وقد كانت تلك اللمحة كافية لتُسقط فكّ فرعون دهشة وإعجابًا! فلم يجد في كل مصر رجلًا أكثر أهلية من ذلك العبراني الشاب. إن توقيت الله دائمًا كامل.

"فقال فرعون لعبيده: هل نجد مثل هذا رجلًا فيه روح الله؟ فقال فرعون ليوسف: بعدما أعلمك الله كل هذا، ليس بصيرٌ وحكيمٌ مثلك. أنت تكون على بيتي، والى أمرك يستمع جميع شعبي. إلا

أن الكرسي أكون فيه أعظم منك. وقال فرعون ليوسف: انظر، قد جعلتك على كل أرض مصر" (تكوين ٤١: ٣٨–٤١).

هل تذكّرك كلمة "يستمع" أو «يخضع» بأحلام يوسف السابقة؟ ينبغي أن تفعل ذلك. لقد جعل اللهُ يوسفَ رئيسًا للوزراء في تلك اللحظة لأن يوسف كان مستعدًا تمامًا. إن الله هو إله "التوقيت الصحيح". لا يتعجّل أبدًا. وكلما أسرعتَ في إدراك هذه الحقيقة المدهشة، أصبحت أكثر قدرة على انتظار الله في جميع الظروف. إن سياسة نعمته تقتضي أن يمنحك وليّ الوقت الكافي لتطوير السعة الروحية عبر درجات مختلفة من المعاناة. وقد كتب النبي إشعياء قائلًا:

"ولذلك ينتظر الرب ليترأف عليكم، ولذلك يقوم ليرحمكم، لأن الرب إله حق. طوبى لجميع الذين [نضجوا روحيًا ونموا في القوة الروحية] ينتظرونه" (إشعياء ٣٠: ١٨).

انتظر اللهُ حتى يكتسب يوسف المنظور الإلهي للحياة قبل أن يرفّعه. انتظر حتى يتخرّج من "كلية المعاناة". والأمر نفسه ينطبق على كل مؤمن بالرب يسوع المسيح. فعدالة الله تقتضي أن يبارك "أواني الكرامة"، لكنّ النكبات المتتالية ضرورية لتكوين السعة الروحية اللازمة لتلك البركات. ولكي تصبح مؤمنًا بمعيار ذهبي، لا بد أن تتخرّج من "كلية المعاناة" بمرتبة الشرف. لقد دبّر الله، في نعمته اللامتناهية، كل ما يلزم لنجاحك في اختباراتك الروحية. ومسؤوليتك هي أن تستخدم هذه التدابير استخدامًا دقيقًا، وعلى وجه الخصوص امتلاءك بالروح القدس ومعرفتك الكاملة بكلمة الله.

بركات المعاناة

"فنزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف، وألبسه ثياب بوص، ووضع طوق ذهب في عنقه. وأركبه في مركبته الثانية، ونادوا أمامه: "اركعوا!" وجعله على كل أرض مصر. وقال فرعون ليوسف: أنا فرعون، فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر" (تكوين ٤١: ٤٢-٤٤).

يا له من مشهد مهيب كان لا بدّ أن يثير الدهشة، إذ يجوب رئيس الوزراء الذي صنعته النعمة أرجاء البلاد في مركبته المهيبة! لقد قال فرعون ليوسف، في اعتراف مدهش بسلطانه الإلهي، إن لا أحد في أرض مصر كلها يجرؤ أن يتحرك دون إذنه.

حقًا، حين تطاردك نعمة الله وتدركك، يقف العالم مبهورًا أمام ما يفعله الله بك. يوسف، ذلك العبد الغريب، بلغ قمة القوة السياسية في واحدة من أعظم أمم الأرض. وقد نال هذا المركز الرفيع دون أي استحقاق من جانبه، ليُظهر ويؤكد مبادئ برنامج النعمة العجيبة الذي يعمله الله!

مبادئ:

- الله، في سيادته، يتحكم في مجرى التاريخ البشري. ببساطة، هو ربّ التاريخ. لا يحدث شيء دون علمه وإذنه. توقيعه الإلهي مطبوع على كل حزمة من حزم المعاناة التي يصوغها خصيصًا ليُعدّنا لمواجهة عالم الشيطان بكل قبحه وشرّه. قدرة الله وسلطانه يحوّلان معاناة المؤمن إلى نتائج رائعة، في الزمن الحاضر وفي الأبدية أيضًا.

- ما نراه أنا وأنت على أنه معاناة، هو في الحقيقة أداة ديناميكية في يد الله القدير. فهو دائم الاستعداد ليُظهر نتائج مدهشة أمام عالم البشر وعالم الملائكة. إن خطة الله لكل مؤمن مطيع يتقدم في مقصده ستتحقق حتمًا، رغمًا عن الشيطان وإحباطه. فالمؤمن الذي امتلأت نفسه بكلمة الله، وكانت قراراته اليومية مميزة بالمنظور الإلهي، سيجد نفسه دائمًا في المكان الصحيح وفي الوقت الصحيح، لأن الله في نعمته التدبيرية يضمن أن يوجّه خطوات هذا المؤمن.

"أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك، عيني عليك" (مزمور ٣٢: ٨).

يا له من عزاء عظيم أن تعلم أنه إن كانت عيناك الروحية بصيرة، فأينما وجدت نفسك في هذه الحياة، فذلك بالضبط هو المكان الذي يريدك الله أن تكون فيه، إلى أن يوجّهك إلى غيره.

"لأن هذا الله هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت" (مزمور ٤٨: ١٤).

أما إذا كانت عيناك الروحية قد غشيهما ضباب الخطية غير المعترف بها، فستنتهي في موضع لا يريده الله لك، وسيفشل كل مخطط بشري لك بالتأديب الإلهي، لأن:

"الذي يحبّه الرب يؤدّبه، ويجلد كل ابن يقبله" (عبرانيين ١٢: ٦).

وسيبقى يؤدّبك حتى تتطهّر رؤيتك الروحية، وذلك بأن تعترف بخطاياك مستخدمًا مبدأ (١ يوحنا ١: ٩):

"إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم"

وحين نجد أنفسنا في ظروف صعبة أو غير مريحة، ينبغي أن نطرح على أنفسنا الأسئلة التالية:

١- ما حالة حياتي الروحية؟

إن كانت حياتك الروحية راكدة، فعليك أن تبادر فورًا إلى إنعاشها. ولا يمكنك ذلك إلا إذا اعترفت بخطاياك لله الآب، وجعلت من تعلّم كلمته أولوية يومية وهدفًا دائمًا في حياتك.

٢- هل أنا أحصد نتائج ما زرعته بحسب وعد الله: "لأن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا"؟ (غلاطية ٦: ٧).
من المؤكد أنه كلما أخطأنا، نحصد عواقب خطايانا في وقت الحصاد. فمثلًا، الابن العنيد الذي يحتقر والديه سيواجه يومًا ما، بطريقة ما، عدالة الله. والكتاب المقدس واضح وضوح الشمس في إدانة هذا الإثم الشنيع:

"الذي يلعن أباه أو أمه يُطفَأ سراجه في حدقة الظلام" (الأمثال ٢٠:٢٠).
وهذا يفسّر معاناة كثيرٍ من المراهقين. إن كنت تشعر أنك تحت التأديب، فحدّد تلك الخطايا التي جلبت عليك الدينونة، واعترف بها أمام الله (يوحنا الأولى ١:٩)، وانسَها، "واسعَ إلى الغاية لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (فيلبي ٣:١٣-١٤). قد يستمر الألم بعض الوقت، لكن الله سيحوّله في النهاية إلى منفعة لك.

"خير لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك" (مزمور ١١٩:٧١).

٣- هل لديّ مخزون من الوعود والمبادئ الكتابية في أعماق نفسي لأواجه بها الضيق والمعاناة؟

إن لم يكن لديك ذلك، فعليك أن تبدأ فورًا بتعلّم التعليم الكتابي الصحيح وتطبيقه على كل جانب من حياتك. تعلّم أن تفكّر بأفكار الله على الدوام.

٤- إذا، وفقط إذا، كنتَ موضوع معاناةٍ لأجل البركة، فكيف أؤدي في امتحاناتي الروحية؟
إن كانت حياتك الروحية في حالةٍ مستقيمة، وكان لديك رصيد كافٍ من التعليم الكتابي في نفسك، فاعلم أن الله قد وضعك في موضع المعاناة من أجل البركات الفائقة. ولن تنجح في اختبارات الله إلا إذا طبّقت كلمته بدقة وثبات على كل مشكلات حياتك، الكبيرة منها والصغيرة.

ميلاد منسّى وأفرايم: مزيد من بركات النعمة

مدّ الله نعمته أكثر ليوسف عندما رزقه بولدين، منسّى وأفرايم.

"وقبل أن تأتي سَنَةُ الجوع وُلِد ليوسف ابنان، ولدتهما له أسنات ابنة فوطي فارع كاهن أون. ودعا يوسف اسم البكر منسّى، قائلاً: لأن الله أنساني كل تعبي وكل بيت أبي. ودعا اسم الثاني أفرايم، قائلاً: لأن الله جعلني مثمرًا في أرض مذلتي" (التكوين ٤١:٥١-٥٢).

إن فهم يوسف لنعمة الله لا يتوقف عن إدهاشي. يا له من مؤمن عظيم! فعندما تأمل في معاناته وترقيته، لم يتردد لحظة واحدة في أن ينسب الفضل إلى الله الذي صنع كل شيء. كان يوسف دائم الاتصال بمصدر بركاته (تكوين ٨:٤٠؛ ١٦:٤١).
وهنا تتجلّى النفس المتواضعة للمؤمن الذي يسلك في النعمة. فالاتجاه نحو النعمة هو موقف ذهني خالص. لقد بلغ تفكير يوسف الممتلئ بالنعمة ذروته حين سمّى ابنه الثاني "أفرايم"، أي "جعلني الله مثمرًا في أرض مذلتي". ومَن قال إن الله لا يستطيع أن يحوّل معاناتك إلى بركة عظيمة؟ إن الله خبير بإنقاذ أولاده من مآزقهم ورفعهم من وسط آلامهم.

المجاعة العالمية في أيام يوسف

"فجاءت سبع سنين الجوع كما قال يوسف، فكان جوع في جميع الأراضي، وأما في كل أرض مصر فكان خبز. ولما جاعت كل أرض مصر، وصرخ الشعب إلى فرعون لأجل الخبز، قال فرعون لكل المصريين: اذهبوا إلى يوسف، ومهما يقول لكم فافعلوا. وكان الجوع على كل وجه الأرض، ففتح يوسف جميع المخازن وباع للمصريين، واشتد الجوع في أرض مصر. وجاءت كل الأرض إلى مصر إلى يوسف ليشتروا قمحًا، لأن الجوع اشتد في كل الأرض" (التكوين ٤١:٥٤-٥٧).

لقد أعدّ الله يوسف، رجل الساعة، لمواجهة الضغوط الهائلة التي جلبتها سنوات المجاعة الطويلة. وبسبب معاناته الشخصية العميقة، صار قادرًا على تحمّل المعاناة المتزايدة للأمة كلها. وبعد قرون عدّة كتب الملك سليمان:
"إن توانيت في يوم الضيق، ضاقت قوتك"(الأمثال ٢٤:١٠).

كانت نفس يوسف ممتلئة بالحق الروحي، وكان واثقًا ثقة مطلقة في يهوه، هادئًا لأن رجاءه كان متّكلاً على رب التاريخ. هذه هي قمة الحياة الروحية.

وقد قلت ذلك من قبل، لكن يجدر تكراره: لا وجود لما يسمى بـ "الصدفة" في خطة الله. فالله كليّ العلم، يعلم كل تفصيل من الماضي والحاضر والمستقبل. وهو يستخدم "غضب الإنسان لإتمام مقاصده" كما تجلّى في حالة يوسف حين أخرج الله خيرًا من عبوديته. والآن، استخدم الله المجاعة والكوارث الاقتصادية لتحقيق وعده لإبراهيم:

"فقال الله لأبرام: اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم ويذلونهم أربع مئة سنة" (التكوين ١٣:١٥).

لقد درسنا أمانة الله لكلمته، وها نحن نواجه الحقيقة نفسها، وهي أن الله يحفظ كلمته مهما كانت الظروف. ينبغي أن نجد عزاء في معرفة أن الزمن لا يؤثر في تحقيق وعود الله.

"لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر، وكهزيع من الليل" (المزمور ٩٠:٤).

لقد مرت عقود قبل أن يتم وعد الله لإبراهيم. استخدم الله المجاعة العالمية في أيام يوسف لينقل بني إسرائيل إلى أرض مصر، ممهدا بذلك الطريق لتحقيق ما أنبأ به من استعبادهم هناك. فالله يستخدم كل ظرف، سواء كان خيرا أم شرا، لإتمام خطته الإلهية. وماذا يعني لنا هذا؟ يعني أننا لا ينبغي أبدا أن نحكم على مستقبلنا بناء على ظروفنا الراهنة، بل أن نؤمن بكلمة الله، ونثبت رجاءنا على أمانته في حفظ وعوده.

الفصل العاشر

يوسف، ركيزة النعمة

"ولما رأى يعقوب أن في مصر قمحا، قال لبنيه: ما بالكم تنظرون بعضكم إلى بعض؟ وقال: إني قد سمعت أن في مصر قمحا، انزلوا إلى هناك وابتاعوا لنا من هناك لنحيا ولا نموت. فنزل عشرة من إخوة يوسف ليشتروا قمحا من مصر. وأما بنيامين أخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع إخوته، لأنه قال: لئلا يصيبه أذى. فجاء بنو إسرائيل ليشتروا قمحا بين القادمين، لأن الجوع كان في أرض كنعان أيضا. وكان يوسف هو المتسلط على الأرض، وهو الذي كان يبيع لكل شعب الأرض" (تكوين ٤٢: ١-٦).

هل أنت مستعد لمفاجأة؟ اقرأ الجملة التالية:
"فجاء إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض" (الآية ٦).

بعد اثنين وعشرين عاما من أحلام يوسف، أتمّ الله ما وعد به حين سجد له إخوته أخيرا. لم ينسَ الله يوسف ولا أحلامه، بل كان يعدّه ليكون ذا سعة روحية يتقبل هذا السجود دون كبرياء أو شعور بالاستحقاق.

وهكذا يا صديقي العزيز، الله لم ينسك أنت أيضا. في هذه اللحظة عينها، هو يعدّك لمستقبل أكثر إشراقا. لا إنسان، ولا ظرف، ولا حقد، ولا مؤامرة يمكن أن تعيق خطة الله لحياتك. لا شيء إطلاقا!

اتجاه يوسف نحو النعمة

نظفر هنا بامتياز عظيم، إذ نلقي نظرة أخيرة إلى نفس يوسف، لنرى رجلا مملوءا بالنعمة، يغمر إخوته القساة والمخادعين بسخاء من النعمة المتدفقة من موقفه الذهني المتواضع. فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه أمام جميع الواقفين لديه، فصرخ: "أخرجوا كل إنسان عني. فلم يقف أحد معه حين عرف يوسف إخوته بنفسه. وأطلق صوته بالبكاء، فسمع المصريون، وسمع بيت فرعون. وقال يوسف لإخوته: أنا يوسف، أحيٌّ أبي بعد؟ فلم يستطع إخوته أن يجيبوه، لأنهم ارتاعوا من وجهه" (تكوين ٤٥: ١-٣).

ذهل إخوة يوسف، ولم يصدقوا ما سمعوه. لا بد أنهم قالوا في أنفسهم: "لقد انتهينا! حياتنا صارت في حكم الموت!"، لكنهم بدلا من العقاب، نالوا نعمة رجل يكرم الله في كل تصرفاته.

"فقال يوسف لإخوته: تقدموا إليّ. فتقدموا، فقال: أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر. والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا، لأن الله أرسلني قدامكم لاستبقاء الحياة" (تكوين ٤٥: ٤-٥).

الله يقيس جودة حياتك الروحية بمدى تطبيقك المستمر لكلمته على كل ظرف من ظروف الحياة، ولا يقيسك بأي مقياس آخر. يمكنك أن تمتلك غرفة مليئة بالكتب المقدسة والدفاتر التعليمية، ولكن إن لم تنقل تلك التعاليم إلى روحك وتطبقها في تفكيرك لحظة بلحظة، فحياتك الروحية لا تعمل فعلا.

هل يمكنك أن تتأمل آلامك بثقة وتقول:
"ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده" (رومية ٨:٢٨).

هل تستطيع، كمؤمن يسير في خطة الله، أن تنظر إلى ضيقك وتقول لنفسك إن الله يعمل الآن ليباركك؟ هل يمكنك أن تفرح وسط المعاناة الشديدة؟ لقد طمأن يوسف إخوته مرة ثانية قائلا،

"لكن الله أرسلني قدامكم لاستبقاء بقية لكم في الأرض، ولحفظ حياتكم بنجاة عظيمة" (تكوين ٤٥:٧).

يا له من رجل مملوء بالنعمة! ولزيادة طمأنة قلوبهم المرتعبة، أعاد يوسف تأكيده قائلاً:
"فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا، بل الله، وهو قد جعلني أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته، ومتسلطاً على كل أرض مصر" (تكوين ٤٥:٨).

ولدينا هذا الوصف الجميل في المزمور المئة والخامس (١٦-٢٢):
ودعا بجوع على الأرض، كسر كل عصا خبز.
أرسل أمامهم رجلاً، بيع يوسف عبداً.
أذلوا بالقيد رجليه، في الحديد دخلت نفسه.
إلى وقت مجيء كلمته، قول الرب امتحنه.
أرسل الملك فحله، أطلقه متسلط الشعوب.

أقامه سيداً على بيته، ومتسلطاً على كل مقتناه.
ليأسر رؤساؤه حسب إرادته، ويعلّم شيوخه حكمة.

ردّ يوسف المملوء بالنعمة على شعور اخوته بالذنب

الذنب خطيئة مدمّرة، تستنزف حيوية النفس، وتحول المؤمن إلى خاسر في معركة الحياة الروحية. علينا أن نتعامل مع الذنب كما نتعامل مع سائر الخطايا، بالاعتراف به لله الآب (١ يوحنا ١:٩).

المؤمن الذي يعيش في شعور دائم بالذنب لا يحقق أي تقدم روحي؛ لذا ينبغي له أن يحدد خطاياه مهما كانت بسيطة أو فادحة، وأن يعترف بها لله، ثم "يسعى نحو الغاية لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (فيلبي ٣:١٤). فليس هناك خطيئة أعظم من نعمة الله اللامتناهية!

يبدو أن إخوة يوسف عاشوا تحت وطأة الشعور بالذنب، لأنهم بعد سنوات عديدة، لما رأى إخوة يوسف أن أباهم قد مات، قالوا: لعل يوسف يضطهدنا ويردّ إلينا جميع الشر الذي صنعناه به! فأرسلوا إلى يوسف قائلين: أبوك أوصى قبل موته قائلاً: هكذا تقولون ليوسف: "أصفح عن ذنب إخوتك وخطيتهم، فإنهم صنعوا بك شراً". فالآن اصفح عن ذنب عبيد إله أبيك. فبكى يوسف حين كلموه (تكوين ١٥:٥٠-١٧).

لا شك أن الشعور بالذنب يعمي البصيرة الروحية، ويجعل من الصعب على الإنسان أن يرى رحمة الله ونعمة غفرانه الفاعلة، حين يغفر خطايانا ولا يذكرها بعد الآن. لم يدرك إخوة يوسف أن يوسف كان قد غفر لهم منذ زمن بعيد، قبل أن يأتوا إلى مصر. ولماذا لا يغفر؟ فقد كان يعلم أن الغفران لا يتعلق بإخوته، بل بالله ومجده. غير أن الإخوة كانوا أنانيين لدرجة أنهم لم يدركوا أن يوسف مؤمن ناضج روحياً، وأنه لا حاجة بهم إلى اختلاق كذبة بالرجوع لوصيةٍ لم يقلها أبوهم قط.

كان من المفترض أن تكون مواقفهم الذهنية قد تغيّرت بعد كل ما مرّوا به، لكنها لم تتغير. ولماذا؟ لأنهم لم يحرزوا أي تقدم روحي؛ لم يكونوا يدرسون الحقائق الإلهية، ولم يطبقوها على ظروفهم.

"فقال لهم يوسف: لا تخافوا، أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم، ليحيي شعباً كثيراً. فالآن لا تخافوا، أنا أعولكم وأولادكم. فعزاهم وطيب قلوبهم" (تكوين ١٩:٥٠-٢١).

كان يوسف، رجل الله، أمام فرصة جديدة ليُظهر مضمون التعليم الإلهي الراسخ في قلبه لإخوته وللعالم كله. لم يسعَ إلى الانتقام من إخوته الأشرار، بل أعطاهم ما لم يستحقوه: نعمةً فائضةً من قلبٍ ممتلئ بمحبة الله.

وهكذا ينبغي لك ولي أن نفعل مع كل من أساء إلينا أو كان غير مستحق لنصيب في ميراث ملكوت الآب. ولكن لنتذكر أننا لا نستطيع أن نعطي ما لا نملك. وبالمثل، إن لم نكتسب ذهنية النعمة من خلال تعلّم التعليم الإلهي وتطبيقه، فلن نستطيع أن نسلك في طريق النعمة.

خروج يوسف الاحتفالي إلى المجد

"عزيز في عيني الرب موت أتقيائه" (مزمور ١١٦:١٥).

إن كان ثمة حدث يستحق الاحتفال والبهجة، فهو الرحيل المهيب للمؤمن الروحي. وقد عبّر الرسول بولس عن هذا المجد بأروع الكلمات:

"نحن واثقون ومستحسن بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب" (كورنثوس الثانية ٥:٨).

"أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ ... ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" (كورنثوس الأولى ١٥:٥٥،٥٧).

يا لها من رجاء مجيد! فالمؤمن يدخل إلى مكان حيث "يمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت" (رؤيا ٢١:٤).

وعندما كان يوسف يتطلع إلى خروجه من هذا العالم، بلغت ثقته في وعود الله ذروتها. لذلك نقرأ كلماته الأخيرة:

"سأموت، ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف بها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب... الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا.

"ومات يوسف ابن مئة وعشر سنين، فحنطوه ووُضع في تابوت في مصر" (تكوين ٢٤:٥٠-٢٦).

آمن يوسف إيماناً عميقاً بوعد الله لإبراهيم بشأن الأرض الموعودة، حتى إنه أوصى بأن يُحنّط جسده. وبينما كان بنو إسرائيل في أرض العبودية، ظل تابوت يوسف شاهداً على أمانة الله، ليس ليوسف وحده، بل لكل من يضع ثقته فيه. وبعد مرور أربعمئة عام، حُمل التابوت مع بني إسرائيل في مسيرتهم عبر البرية إلى أرض الموعد، حيث دُفن باحترام وإجلال. لقد وثق يوسف بالله في كل شيء، وكما هو دائماً، أثبت الله أمانته في تكريم هذا الإيمان.

الفصل الحادي عشر

أفكار ختامية

في ختام هذا السرد الملهم عن النعمة في حياة يوسف، نرى من المهم للغاية أن نُدرج الدراسة العلمية التي قدمها ويلمِنغتون، الذي صوّر يوسف كرمز مسبق للمخلّص يسوع المسيح.

كلاهما كان محبوباً من أبيه. [يوسف: تكوين ٣٧:٣] {يسوع: متى ٣:١٧}
كلاهما اعتبر نفسه راعياً. [تكوين ٣٧:٢] {يوحنا ١١:١٠-١٤}
كلاهما كان في نحو الثلاثين من العمر عند بدء خدمته. [تكوين ٤١:٤٦] {لوقا ٣:٢٣}
كلاهما أُرسل من أبيه إلى إخوته. [تكوين ٣٧:١٣-١٤] {لوقا ١٠:١٣؛ عبرانيين ٢:١٢}
كلاهما أُبغض من إخوته بلا سبب. [تكوين ٣٧:٤-٥، ٨] {يوحنا ١:١١؛ ٧:٥، ١٥}
كلاهما تآمر عليه إخوته. [تكوين ٣٧:٢٠] {يوحنا ١١:٥٣}
كلاهما جُرّب بشدة. [تكوين ٣٩:٧] {متى ٤:١}
كلاهما أُخذ إلى مصر. [تكوين ٣٧:٢٥] {متى ١٤:٢-١٥}
كلاهما نُزع عنه ثوبه. [تكوين ٣٧:٢٣] {يوحنا ١٩:٢٣-٢٤}
كلاهما بيع بثمن عبد. [تكوين ٣٧:٢٨] {متى ١٥:٢٦}
كلاهما قُيّد. [تكوين ٣٩:٢٠] {متى ٢:٢٧}
كلاهما اتُّهم زوراً. [تكوين ٣٩:١٦-١٨] {متى ٢٦:٥٩-٦٠}
كلاهما ظلّ صامتاً ولم يدافع عن نفسه. [تكوين ٣٩:٢٠] {إشعياء ٥٣:٧}
كلاهما اختبر حضور الله في كل ما مرّ به. [تكوين ٣٩:٢، ٢١، ٢٣] {يوحنا ١٦:٣٢}
كلاهما نال احترام السجّانين. [تكوين ٣٩:٢١] {لوقا ٢٣:٤٧}
كلاهما وُضع مع سجينين: أحدهما هلك والآخر نجا. [تكوين ٤٠:٢-٣] {لوقا ٢٣:٣٢}
كلاهما رُفع إلى مكانة عالية بعد آلامه. [تكوين ٤١:٤١] {فيلبي ٢:٩-١١}
كلاهما اتخذ زوجة من غير بني إسرائيل. [تكوين ٤١:٤٥] {أفسس ١:٣-١٢}

كلاهما فُقد عن إخوته مدة من الزمن. [تكوين ٤٢:٧-٨] {رومية ١:١٠-٣؛ ٧:١١-٨}
كلاهما غفر واستعاد إخوته التائبين. [تكوين ١:٤٥-١٥] {زكريا ١٠:١٢-١٢}
كلاهما زاره وكرّمه جميع أمم الأرض. [تكوين ٤١:٥٧] {إشعياء ٢:٢-٣؛ ٤٩:٦}

يا له من رمز نبوي عظيم قدّمه يوسف! ويا لها من كرامة مجيدة منحها الله له، وهو رجل لم يكن يستحق أيًّا من تلك البركات! ومع ذلك، من خلال كلمة الله، ما زالت بصمته الروحية حيّة تتجدّد في حياة المؤمنين جيلاً بعد جيل.

وفي ختام هذا التأمل، يجدر بك أن تسأل نفسك بعض الأسئلة الجوهرية:

١- هل أنا مؤمن متمركز حول النعمة؟ هذا ما قاله الرسول بولس (المؤمن بالنعمة) وقد أظهر ثقة كاملة في كلمة الله وتمسكاً بالحق قائلاً:
"لست أقول هذا من جهة احتياج، فإني قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف كيف أتواضع، وأعرف أيضاً كيف أستفضل. في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تعلمت أن أشبع وأن أجوع، أن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (فيلبي ٤:١١-١٣).

٢- هل تعاليم الكتاب المقدس أكثر واقعية بالنسبة لي من الظروف التي أواجهها؟
يمكن إيجاد الجواب في أفران النعمة التي اجتازها أبطال الإيمان. فكما كان الرب مع يوسف في الجبّ، وفي عبوديته، وحتى بلوغه القمة؛ وكما كان مع شدرخ وميشخ وعبدنغو في وسط أتون النار، هكذا سيكون معك أنت أيضاً!

"ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشّون في وسط النار وما بهم ضرر، ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة!" (دانيال ٣:٢٥).

"يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين ١٣:٨).

والتحدي المطروح أمامنا جميعًا هو أن نبلغ النقطة التي نستطيع فيها أن نقول مع الرسول بولس:

"قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان. وأخيرًا قد وُضع لي إكليل البرّ الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديّان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبّون ظهوره أيضًا" (تيموثاوس الثانية ٤:٧-٨).

كلّ هذا يتوقّف على جعل تعلّم حقائق الكتاب المقدس وتطبيقها في متطلّبات الحياة اليومية أولويّة مستمرّة وهدفًا مدى الحياة.

صلاتي هي أن يستمرّ محتوى هذا الكتاب في تحدّيك وأنت تسير في عالمٍ متداعٍ، وأن تتابع المسير نحو الغاية، "نحو جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع"
ليكن فهمك لنعمة الله مصدر قوّتك الروحية وتشجيعك الدائم وأنت تجتاز "أتون النعمة"

في زمن المعاناة. وليكن تطبيقك لحقائق الله سببًا في فيض من البركات لك، اليوم وغدًا وإلى الأبد.

"نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس، مع جميعكم."

"وللذي يقدر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا، له المجد في الكنيسة وفي المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين" (أفسس ٣:٢٠-٢١).

ندعوك لقراءة:

Grace News Today

وهي نشرتنا الإخبارية الصادرة مرتين شهريًا، والتي تتضمن أقسامًا عن التعليم التفسيري للكتاب المقدس، وتحديثات حول خدمتنا، ومعلومات عن منشوراتنا المجانية.

May 2011 - June 2011
Volume 56

Grace News Today
An Outreach of Grace Evangelistic Ministries, Inc.

"Faith Alone in Christ Alone"

BELOVED OF GOD, Greetings from your missionary partners here at Grace Evangelistic Ministries! We make the apostle Paul's words our own: *[We] thank [our] God in all [our] remembrance of you,* ***always offering prayer with joy in [our] every prayer for you all,*** *in view of your participation in the gospel from the first day until now. For [we are] confident of this very thing, that He who began a good work in you will perfect it until the day of Christ Jesus"* (Philippians 1:3-6). *"**Rejoice in the Lord always**; again, [We] will say rejoice!"* (Philippians 4:4).

What a challenge the Philippian Christians are to us even today! There's no question in my mind that if there was such a thing as a perfect church in the apostolic era, the Philippian church would certainly have qualified for that distinction. When the apostle Paul contemplated his missionary work, he addressed them as his *"joy and crown"* (Philippians 4:1). They loved the apostle Paul dearly. They made sure that the same truth that had enriched their own lives was available to others. Of these, the apostle testified,

> *Now, brethren, we wish to make known to you the grace of God which has been given in the churches of Macedonia,* ***that in a great ordeal of affliction their abundance of joy and their deep poverty overflowed in the wealth of their liberality****. For I testify that according to their ability, and beyond their ability, they gave of their own accord, begging us with much urging for the favor of participation in the support of the saints, and this, not as we had expected, but they first gave themselves to the Lord and to us by the will of God (2 Corinthians 8:1-5).*

They understood the need to reach out to others. Beloved, on the same note I unapologetically express to you my profound gratitude. You have stood with us to ensure that the gospel of grace, that has brought salvation to you, reaches others. Testimonies are pouring in from around the world. God alone is using us and materials from this ministry, *Riding the Death Train* (our gospel pamphlet) and other publications, to bring many into His Kingdom. We are pleased to share some of these testimonies with those in our e-mail café. You can receive these reports, and also our road reports. Simply request that we include you on our e-mail café by e-mailing us at news@GEMworldwide.org

We greatly rejoice in what the Lord is accomplishing through you and G.E.M. as we take the good news to those in bondage, one person, one family, and one nation at a time. Many are embracing sound Bible teaching. We close our letter to you, by sharing this e-mail from the President of a Biblical Institute in Congo:

"True. I have been trying to meditate and find words good enough to express my appreciation for the ministry. But I failed. However, I want to say A BIG THANK YOU FOR YOUR MINISTRY AMONG us here in Bukavu (Congo). In fact, you would not realize how much we have been blessed and brought back to the real foundation of Christianity. The church needs such teaching in order to face the actual situation. This is what I would call revival—going back to the Bible. Apart from teaching and your material at the Bukavu Bible Institute, we are arranging to hold a seminar down the country...to pass on what we have received from God through your ministry.... Grace to you all." Rev. Malanda

Please stand with us in prayer!
Every blessing to you!

Moses C. Onwubiko & GEM Team

TABLE OF CONTENTS

Greetings from G.E.M. 1
Words of Encouragement 2
Doctrine of Grace 3
Missionary Reports 7
Upcoming Trips 9
Letters to G.E.M. 10
Please Join Us in Prayer 11
G.E.M. Overview 11
Contact Us 12
Publications Available 12

اطلب نسختك الان من:

www.GEMworldwide.org

موسيس سي. أونويبكو

موسيس سي. أونويبكو هو رئيس ومؤسس **خدمة النعمة التبشيرية** التي تأسست عام ١٩٩٧ كمنظمة تبشيرية تُعنى بتعليم الكتاب المقدس وتركز أساسًا على الكرازة. أولويتنا الأولى هي نشر إنجيل النعمة القائل ب***"الإيمان بالمسيح وحده كافٍ للخلاص"*** إلى عالم تائه وهالك. أعلن موسيس الإنجيل في عدة دول في أفريقيا وآسيا وأوروبا، ولا يزال يسافر إلى أي مكان يفتح الله فيه بابًا للخدمة.

"لأن بنعمة الله أنا ما أنا" (١ كورنثوس ١٥:١٠)

وبنفس مكيال النعمة، سأُتمم ما قصده الله القدير أن أُتممه.

الكاتب

السياسة المالية

إن خدمة النعمة التبشيرية لا تطلب تمويلاً. نحن نؤمن بأن الله في نعمته سيستمر في تلبية احتياجاتنا المالية كلما ظهرت.

نحن لا نفرض رسوماً على الكتب أو الأشرطة الصوتية، ولا نطلب أي مال. عندما يدفعك الامتنان لكلمة الله وفهمك لأهمية إيصال إنجيل النعمة البسيط وتعاليم الكتاب المقدس السليمة إلى النفوس غير المخلصة للمساهمة، فلك الامتياز أن تعطي وتشارك في نشر كلمة الله. هذه خدمة تقوم على النعمة.

خدمة النعمة التبشيرية
ص.ب ١٧٢٤٦، ناشفيل، تينيسي ٣٧٢١٧
www.GraceMissions.org